عدنان السبيعي

الصحة النفسية للأسرة والمجتمع

٤

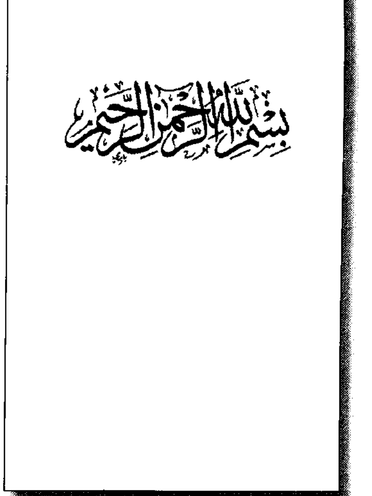
الصحّة النفسيّة لأطفال المدرسة الابتدائيّة

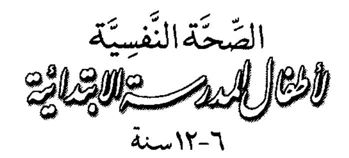
دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان





دار الفكر
دمشق - سورية


بسم الله الرحمن الرحيم


الصّحَة النَّفسِيَّة
أطفال المدرسة الابتدائية
٦-١٢ سنة

كتاب الصحة النفسية لأطفال المدرسة (٦-١٢) سنة/ عدنان السبيعي. - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧ . - ٢٢٢ص؛ ٢٠سم.
١- ١٥٥,٤ س ب ي ك ٢- ٦٤٩ س ب ي ك
٣- العنوان ٤- السبيعي
مكتبة الأسد
ع- ١٩٩٧/٨/١١٤٦





الصَّحَّة النَّفسِيَّة أطفال المدرسة الابتدائية

٦-١٢ سنة

عدنان السبيعي

الرقم الاصطلاحي: ١١٢٧,٠١٣
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-389-5
الرقم الموضوعي: ١٥٠
الموضوع: علم النفس
العنوان: الصحة النفسية لأطفال المدرسة الابتدائية
(٦-١٢سنة)
التأليف: عدنان السبيعي
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٢٢٢ ص
قياس الصفحة: ١٢×١٧سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com



إعـــادة
١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م

ط١/١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾

[الحج ٢٢/٥]

المحتوى

الموضوع	الصفحة

تمهيد

أطفال الأمة

أثمن وأغلى ما تملكه من ثروات ..
وخير ما تعتدّ به من أجل البناء والأمل .
وعُدّتها للأيام السوداء ومنشئو حضارتها في أيام الرخاء .
ومن جموعهم سيكون للأمة علماء وعمال ، مخططون ومنفذون ..
وباحثون ... ورجال فكر وفداء ..
وكل طفل تلقاه أمامك هو إمكانية غير محدودة .
طاقة كامنة تصنع الطاقة
كل طفل عالَم مستقلّ بذاته
إنه كتاب قيّم يجب أن يُقرأ ويُفهم
وأنت لا تدري
أيّ قدرةٍ يمكن أن تتفجر من هذا الصغير

ولا أيّ طاقة حشدها الخالق العظيم ، في هذا الكتاب اللطيف

فاجتمعت فيه البساطة والعظَمة .

لعل في ثنايا هذا الكيان

أو يكمن ويختفي أكبر عقل تفتّح

سيتفتح على كوكبنا المسمى بالأرض

وما يدريك ؟!

فقد يتولى هذا الصغير أو ذاك الذي تحقره وتمرّ به دون مبالاة ...حلَّ إحدى المعضلات الإنسانية المستعصية .

وقد ينجح في أمر أخفق فيه الكثيرون من جبابرة الفكر أوعباقرة التاريخ

التاريخ

ولشدّ ما كنت أقول وأكرر :

« كلما رأيت طفلاً من الأطفال

ذكرتُ الذّرة الصغيرة اللامتناهية في الصغر ..

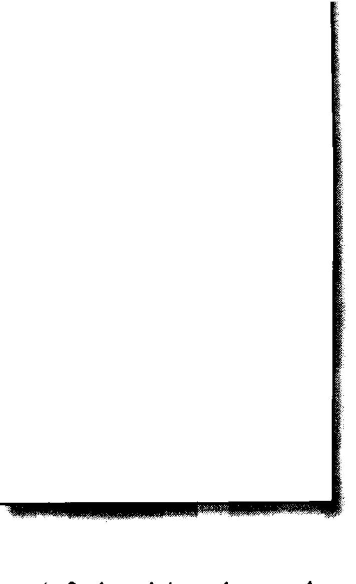
تلك التي أطلقها الإنسان ، وفجّر طاقاتها الخفية

الطاقات التي أبدعتها يد الله ، بدقة لا نظير لها وتقدير رائع .. » .

وإذا كانت الذرة في الطبيعة
قد استُخدمت أداةً رهيبة في التدمير
فإن الذرة في الإنسان يمكن بل يجب أن تغدو كشفاً عظيماً في حسن التدبير .
وأداةً من أدوات التفاهم الحلو الجميل ..
ومن أجل أن يتم تقدم حقيقي في عالم الطفل ..
لا بد أن نبذل الجهود الفائقة .. كي :

- نحسن فهم الطفولة ..
- ونحيطها بالعناية والرعاية ..
- ونقي أطفالنا شرّ الانحراف المخيف ..

وهدفنا الأقصى :
« توجيه الأسرة في بلادنا
وتوجيه المدارس في المدن والقرى
كي تسير الحياة نحو طفولة سعيدة » .



إعداد الطفل لدخول المدرسة

هل طفلكِ مهيَّأ ؟

يُعدّ الدخول إلى المدرسة أول وأكبر مغامرة يقوم بها الطفل في بدء حياته ، لاحظيه وهو يستمع إلى ما يقوله الصغار عن المدرسة والملعب والأصدقاء ، تجديه يطلب اقتحام هذه الحياة الغريبة ، وفي نفسه موجات من الانفعالات المتضاربة في إطار من الإقدام القلِق والإحجام والفضول وخشية المجهول ، ولعله يحس أنه وحيد ، حين يرى أترابه يمضون إلى ذلك المكان الغامض ويرجعون منه ، وعلى لسان كل واحد قصصٌ مشوقة وأخرى مشوشة عن المعلمة المحبوبة « كلكم شاطرين » « صفّقوا لنزار » « مرحى لنزار » فما معنى شاطرين ، ولماذا يصفّقون ، وتقول له المعلمة مرحى ؟؟.. لماذا هذا كله ؟!.. إن أترابه كلهم يتحدثون منصايحين ، وهو يرى أن من المستبعد أن يكونوا جميعاً أشقياء هناك ، ثم أليس هو طفلاً مثل أولئك الصغار ؟..

بلى ، إذن فمن الطبيعي أن يرغب فيما يرغبون فيه ، وأن يتـأثر بأقوالهم وأفعالهم ...

- فلنبدأ أولاً بشراء مُحفظة
- إنها ضرورية جداً
- ويحلم بحملها ولو كانت فارغة !..

ومن جهة أخرى يتشوق إلى الدخول إلى الحياة الاجتماعية ، والانخراط بأناس خارج البيت ، ويبدأ يتوق إلى الانخراط مع الناس في الحياة خارج المنزل .. فيتوق إلى حبِّ الآخرين ، ويكون محبوباً عندهم .

والسؤال الذي يهمنّا الآن : هل طفلك مستعدّ للشروع في الحياة المدرسية ؟... إن حظه من النجاح في مدرسته رهين باستعداده لها .. فهذا الاستعداد يسهل عليه مغادرة البيت الآمن قطعاً إلى المدرسة المجهولة .

الصحة أولاً وقبل كل شيء

يقول المربّون : يجب أن يدخل الطفل المدرسة وهو يتمتع

بكامل صحته ، ولذا يجب أن يُجرى له فحص طبي من قبل طبيب العائلة أو الوحدة الصحية في التعليم بالمنطقة ، وطبيعي أن يتناول الفحص حالة العينين ، وسلامة النظر ، والأُذنين والسمع ، والأسنان ... إلخ . فإذا أظهر الفحص مرضاً أو خللاً يمكن تلافيه فبها ونعمتْ ، وعلى الأبوين أن يستمعا إلى إرشادات الطبيب ، وأن يعملا لتحسين الأوضاع الصحية قبل مغادرة البيت .

أيتها الأُم : يحتمل ألاّ يكون ولدك محصناً ضدّ الدفتريا والسُّعال الديكي والجدري ، فإذا لم يكن قد نال هذه اللقاحات ، فعليك أن تسرعي إلى المختصين الصحيين ، من أجل أن يكسب ولدك المناعة ضدّ هذه الأمراض ، وإذا كان محصناً بهذه اللقاحات من زمن طويل فعليكِ بتجديدها ...

وإذا أردتِ أن يكون ابنك سعيداً في المدرسة فاحرصي جيداً على أن ينال كفايته من النوم ، وأن ينام في أوقات منظمة ، ولكي تكتمل قواه وينجو من التعب (الذي ما كان يعرفه من قبل) ، والمحتمل في حياته الجديدة ، يجب ألاّ يقلّ

نومه عن (١٠ ـ ١٢) ساعة ، وأن ينام في غرفة معتمة مفتوحة النوافذ بشكل مناسب .

والآن ابدئي بتعليمه كيف يعتني بنفسه

أولاً ـ يجب أن يعرف كيف يغسل يديه بنفسه ووجهه وقدميه ، وأن يحسن تمشيط شعره .

ثانياً ـ يجب أن يحسن استخدام المنديل في تنظيف أنفه وحجب الرذاذ عند السعال أو العطاس .

ثالثاً ـ أن يحسن ارتداء ثيابه ، فإذا تعلم كل ذلك في البيت فسوف يحسن تأديتها في المدرسة من غير فشل ، وإذا كان قد تدرب على جمع ألعابه في البيت فإنه يجمع أدواته المدرسية وحاجاته الرياضية بكل بساطة ، أما تعويده مساعدة أمه في أداء بعض الأعمال المنزلية البسيطة فيكسبه المهارة في النواحي العملية من الدراسة .

رابعاً ـ هناك إتقان الكلام الذي إذا نطق به فهمه الجميع . إن كل طفل يستعمل لغة أمه ، ومن

واجبك أيتها الأم أن تُسمعيه لغة واضحة هي المنتشرة في الوسط الاجتماعي والمدرسي ، شجعيه على أن يعبر عن نفسه بكلمات بسيطة وجمل مسبوكة في الدلالة على الأشياء بأسمائها ، حتى إذا انتمى إلى المدرسة كان قادراً على النطق باسمه وعنوان بيته ورقم هاتفه نطقاً واضحاً مفهوماً .

وعليك أن تؤكدي لديه الحاسية الاجتماعية التي تجعله مقبولاً ومتفاهماً مع غيره ، ويحسن تجربة الأخذ والعطاء ، ويستعذب الحياة في المجتمع ، وعلّميه أن يكون سيّد نفسه وتصرفاته ، وأن يحسن فهم الآخرين ويحترمهم ، وإذا كنت عاقلة ، فعليك أن تدركي خطورة اللعب وأهميته في تكوين نفسية طفلك .

وفيما يخص عقلية الطفل ليست صحة الجسم كافية وحدها من أجل تكوين إنسان منتج سعيد ، بل لا بد أن يكون العقل سليماً ومشرقاً ، وتكون الشخصية سوية وبعيدة عن الانحراف والاضطراب . ويظل الطفل يشعر بأنه يتمتع بعقل سليم

ومتماسك ما دام يحس بالثقة في محبة أبويه ، ويضطلع ببعض المسؤوليات ، ويحقق حاجاته الشخصية ، ويلعب بعدل مع رفقاء سنّه ومحيطه ، وإذا كان تعلّم احترام النظام فسيكون أفضل تعاوناً مع الحياة المدرسية ، أما إذا كان يعرف الطاعة ، ولا يدرك التقيد بالقاعدة العامة فإن حظه من النجاح والتكيف الاجتماعي يظل محدوداً بحدود معرفته وإدراكه .

وللأسف فإننا نجد الكثيرين من الآباء من لا تهمهم أنظمة المدرسة ، ولا يريدون أن يعرفوا شيئاً عنها ، وقد يجاهرون أمام أولادهم بسخف تلك الأنظمة فيدفعهم إلى الخروج عليها وتجاوزها . ونقول لهؤلاء الآباء : ألا تستدعي اللياقة أن تتصلوا بإدارة المدرسة لتعرفوا حقيقة أنظمتها ، وتستمعوا إلى أقوال المدير فتعرفوا مبررات الأنظمة ، وتطلعوا على وجوه النظر فيها .

وشيء آخر يجدر الانتباه إليه ومفاده أن موقف الطفل بعد حماسه الأولي للدخول إلى المدرسة كثيراً ما يتسم بالتردد أو الندم مع شيء من الوجوم بعد فترة قصيرة أو عدة أيام ، فإذا شهدت

الأُم شيئاً من ذلك ، فلتعرف أنـه موقف طبيعي ، ولربمـا ينتج عن الفروق التي أدركها الطفل بين بيتـه الرخو الآمن والمـدرسة الجـادة المركَّـزة ، فليس عجيبـاً أن نرى الطفـل يحنُّ إلى العـودة لجوِّه السـابق ، وإلى السعـادة التي ألفهـا في حجر أمـه وبين إخوتـه ، وقد جاءنا أن طفلاً كان شديد الحماس لمغـادرة البيت والـذهـاب إلى المدرسة ، ولكن أصيب بشيء من خيبـة الأمل والوجوم بعـد أيام وراح يحنُّ إلى بيته ، شعرتْ أمه بالذي جرى لابنها فقـالت لـه : أمـا قلت : إنّـك تحب المـدرسـة ، وتريـد أن تـذهب إليهـا ؟.. أجـاب الصغير : نعم قلتُ هـذا ، لكنني وجـدتُ أنني لا يلـزم أن أذهب إليهـا . (وأضـاف) أليست المـدرسـة للقراءة والكتـابـة ؟.. قـالت الأم : نعم . فقـال الطفـل : أنـا لا أعرف القراءة ولا الكتابة !..

وهنا نقول للأبوين : لا تيأسـا بل تـأكَّـدا أن ولـدكما سوف يحس أن في المـدرسـة أفراحـاً هي كأفراح البيت ، وقـد تكـون أجمـل .. إنـه الفرح المغـامر الـذي يفتش عن المجهول ، وحـالمـا يستمتع الطفل بنجاحه في الكشف عن المجهول ، وحالما يُوفق إلى

علاقة بينه وبين ما حوله ومَن معه ، فإنه سيستعيد سريعاً رغبته وسيشعر بالسعادة الغامرة ، عندما يتحرر من أسرته ويوسع من مدركاته . وسيشعر قريباً بالاستقلال كما يشعر به غيره . فهذا الشعور هو سبيله إلى بناء ذاته وامتلاك شخصيته .

وسيتأكد الطفل حين ينشد أناشيد المدرسة ، ويروي لأمه وأبيه بعض ما رآه وما سمعه في الصف ، وحين يتحدث عن المعلمة والرفاق والملعب والألعاب ، حينذاك يكون من واجب الأبوين أن يستمعا إلى طفلهما ويستدرجاه إلى الكلام والمزيد من الحديث عن الصف وأحداثه .

وحّدوا مجهودكم مع المدرسة

إن طفلكم كائن هام ، وكل طفل هو أذكى مما يتصور ذووه ، وهو بحاجة إلى أن يرى التوافق بين أسرته وإدارة مدرسته . وسيُسر إذا علم أن أمه اتصلت بمعلمته التي بدأ يحبها . هذا هو موقف الأبوين ، أما المعلمة فإنها لا تستطيع أن تتعمق في فهم أسرار كل طفل ومشاعره وإمكاناته وطموحاته بسبب كثرة ما لديها من أطفال أولاً ، وبسبب سطحية صلتها الظاهرية بالأطفال ثانياً ، وبضيق الوقت الذي تلتقي فيه بالصغار .

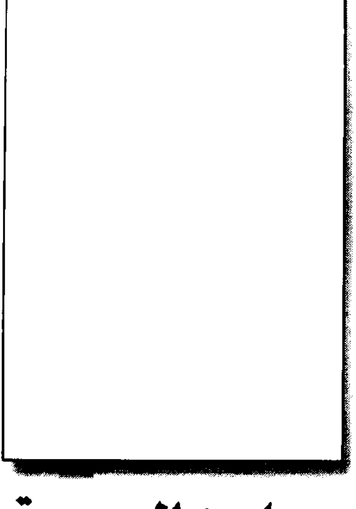
وعلى هذا فإن في وسع الأبوين المثقفين أن يقدما لولدهما أفضل الخدمات التربوية إذا هما اتصلا بمدرسته ومعلمته . فذلك أفضل بكثير من أن تعمل المدرسة أعمالها وهي مستقلة ، ولا تتصل بأسرة الولد . وسرعان ما يدرك الأبوان أن

ولـدهـا راح ينطلق ويمضي إلى المـدرسـة بقبول ولهفـة . وهو في الغالب مقبلٌ على التألق ليصبح واحداً من الأفذاذ اللامعين .

وقد يظن الأبوان ظنّاً خاطئاً أن ولدهما ـ بعـد أن درج في المدرسة وارتاح إليها ـ أن وظيفتهما قد انتهت وأنهما سلّما ولـدهمـا لأيدٍ أمينة . فهذا خطأ بالغ ، وسيظل الجو الأسري مسؤولاً عن نمو خصائص الطفل وتفتح شخصيته ... وهكذا نقول :

« إن سعادة ابنكم ونجاحـه في الحيـاة المقبلـة ، يتعلقـان بمـا تبذله الأسرة من تشجيع متواصل ومراقبة يومية لـدفـاتر الطفل ودروسه وصعوبات عمله المدرسي[1] .

(١) قـد اكتشف المربـون الـدوليـون أن الأوائـل المتفـوقين في مـدارس أوربـا وأمريكا يؤلف الأطفال اليهود نسبة عالية بينهم ، قالوا : إن هذا لا يؤكد تفوق اليهودي بذكائه وإنما لأن الأم اليهودية لا تدع أولادها ينـامون قبل أن تكون قـد اطلعت على أعمـالهم وشـاهـدت أخطـاءهم ووجـوه الصـواب عندهم ، وحفزتهم إلى الدراسة .



مبادئ الصحة
في
الحياة المدرسية

أولاً ـ ليس المهم أن نحيا فقط بل المهم أن نتذوق الحياة

إننا نتذوق الحياة بمقدار ما نحس ما فيها من نِعَم . إن النِّعم كثيرة ولكننا قلما نحس بها إلا في حالات نادرة ، لأننا عشنا طويلاً محاطين بها فألفناها ولم نُحرم منها .

الصحة نعمة لكن الحرمان يظهرها (الألم يرد الإنسان إلى نفسه فيقدِّر صحته التي كانت له قبل أن يتألم) ، بعض الناس لا يحسون بعيونهم حتى يصابوا بالرمد وما إليه ، على أنَّ آلام الآخرين قد تعرِّفنا بصحتنا وخلوِّنا من الآلام .

والغذاء نعمة : إذا كنا نتعامل معه بتوازن واعتدال .

وجود الأسرة : نعمة كبرى وتتعاظم بـ (تفاهم الأسرة) وخاصة (تفاهم الأبوين) ، نمو الأطفال وتقدُّمهم ونجاحهم .

راحة البال : تفريغ الهموم ، وملء فراغ الوقت ، والإحساس بأن الدنيا بخير .

أهمية النعمة : تظهر حين توحي لنا بقدرٍ طيبٍ من الطمأنينة . **الطمأنينة هي السكينة** . وهي لا تكتسب من الخارج ، بل تنبثق من الداخل ، والأبوان المتميزان يدعمان السكينة عند صغارهم .

والمهم أن نجعل صغارنا يتوجهون صوب الفرح في الحياة ومنه إلى النمو والتقدم للمستقبل .

● وكلما كثر أصدقاء أولادنا وكانوا جديرين ، كانوا أقدر على العمل واللعب معهم .

● وكلما أحسسنا وإياهم بالنشاط وأحسسنا بأهميتنا وأهميتهم في الحياة ، كنا جديرين بحياة نافعة وحلوة .

ولكنَّ النِّعم تكون نِعَماً بفضل الله وعونه .

ثانياً ـ ليس المهم أن نتعلم فقط ، بل أن نتذوق التعلم

إننا نتذوق التعلُّم حين ندرك :

١ ـ أن التعلم ليس جمعاً لمعلومات ، بل هو طلب المزيد

من المعلومات[١] بالإقبال والفرح ، وأن نستخدم علمنا ونوظفه في الحياة .

٢ ـ فنتوجه صوب الحياة المنتجة : تكون الحياة منتجة لا بمجرد تحصيل المال ، بل عندما نُحِب ونُحَب .

٣ ـ ويكون التعلُّم مفيداً إذا هو تحوَّل إلى عمل . فالعمل وسيلة هامة من أجل العيش الكريم .

٤ ـ إن الكرامة هدف كبير من أهداف الحياة[٢] . وهي مبدأ من المبادئ الأساسية . ولكنَّ أفضل الكرامة أن نمتلئ بالكرامة التي أرادها الله .

ثالثاً ـ ليس المهم أن يلعب أطفالنا فقط ، بل أن يتذوقوا اللعب وينتفعوا به

(١) لم يقل القرآن « ربِّ علِّمني » بل قال : ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ .

(٢) قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠/١٧] .

ويتذوق الناس اللعب في أمور كثيرة أهمها :

١ ـ أن ينشطوا ويتحركوا . إن أجسامنا مصممة ومخلوقة على الحركة . ومن لا يتحرك يدنو من المرض أو الموت .

٢ ـ يؤلف الآخرون ضرورة لا غنى عنها . وعلى الكل أن يلعبوا بإشراف المربين .

٣ ـ أن يلعب الفرد مع الآخرين باستمرار . والآخرون قد يضايقوننا ، ولكنهم يدعمون حياتنا بوجودهم .

٤ ـ ليس اللعب تفريغاً للطاقة وحسب ، بل لصنع الطاقة وتكوين الشخصية .

٥ ـ كيف يلعب الصغار ومتى يلعبون ويستريحون هذه قضايا تهمّ الجميع[1] .

رابعاً ـ ليس المهم أن تُفتح المدارس فقط ، بل المهم أن تتفتح شخصيات صغارنا في المدارس

(١) وللعب ضروب وأشكال ونظريات سنواجهها فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

١ ـ المدرسة للطفل ، وليس الطفل للمدرسة .

٢ ـ أفضل المدارس ما جعلت الصغار يتولعون بها وبالحياة .

٣ ـ المهم في المدرسة الناجحة توفر المعلمين المتميزين .

٤ ـ يكون المعلم متميزاً إذا كان :

أ ـ مؤهلاً جيداً .

ب ـ محبّاً للطفولة .

جـ ـ مولّعاً بمهمته .

٥ ـ وينبغي عليه أن ينزل إلى مستوى أطفالِه . إنه كالطائرة . وأفضل الطائرات ليست التي تكتفي بأن تحلق ، وإنما التي تعرف كيف تهبط لتوصل الركاب إلى أرض المطار .

خامساً ـ ليس المهم أن ينجح أولادنا في الدراسة والمدرسة وحسب بل :

١ ـ أن ينجحوا في فهم الحياة ، ويكونوا أدنى وأقرب من الناس .

٢ ـ أن النجاح أدعى إلى مزيد من النجاح .

٣ ـ النجاح في الحياة أن تكون محبوباً حيثما تذهب لا حينما تذهب .

٤ ـ بعض الناس يُحبون حينما يَذهبون .

٥ ـ وأفضل الناس من يُحِب ويُحَب .

سادساً ـ لا مجال لأن تعمل الأسرة والمدرسة منفصلتين دون لقاء

١ ـ إن التعاون بين المجالين التربويين في مصلحة الأطفال ومصلحتهما بآن واحد .

٢ ـ تقدم الأسرة إلى المدارس أطفالاً أدركتْ اتجاهاتهم ومواقفهم .

٣ ـ تظل المدرسة بعيدة ـ إذا عملت وحيدة ـ عن فهم كثير من اتجاهات الصغار .

٤ ـ ولهذا وُجدت مجالس الآباء والمعلمين . إنها عمل طيب ولها ثمارها من كل بد .

٥ ـ وأهم مواضيع التعاون بينهما تتمثل في مواجهة التصرفات الحادة للأطفال .

الصحة النفسية

لطفل المرحلة الابتدائية

في الأسرة

منذ أن يتخلق الطفل جنيناً يحتاج إلى أن يجد الجو الآمن في بطن أمه .

ومنذ أن يولد يحتاج إلى أن يلقى الترحيب لا من حيث أن مجيئه يصنع الفرح في الأسرة فقط ، بل لأنه كائن إنساني كريم في حدّ ذاته ، تتطلب إنسانية الطفل وكرامته أن يتوفر له أمورٌ عدة أهمها : التَّقبُّل ، والرعاية ، والتشجيع ، والصداقة الحميمة ، والمعونة ، والبهجة .

التَّقبُّل

من حقِّ الطفل أن يكون مقبولاً في أسرته ، فيلقى

الترحيب من أبويه ومَن حوله مهما كان شكله ولونه أو جماله وقبحه ، وكونه قريباً إلى القلب أو غير جذّاب . فإنه في كل الأحوال يحتاج إلى أن يتأكد ـ لا شعورياً ـ أنه ليس غريباً ، ولا يُفضَّل عليه أحد ، كما أنه ليس كمية مهملة .

الرّعاية

من حق الطفل أن يُحاط بجو من العناية ، فتصان شخصيته وعواطفه من الإهانة أو الضغط أو العدوان أو الإهمال . وما كان حقّاً للطفل فهو واجب على مَن حوله . إن الطفل الذي لا يُقبل ولا يلقى الرعاية ينمو وهو مضطرب وغير آمن ، مستريباً بالآخرين غير مرتاح إليهم ، ويقابل كلّ مسوءة (من الإهانة والعدوان والإهمال) بالعدوان أو الانسحاب ، وفي كل الأحوال يتعرض للانحراف (المحدود أو المرَضي في المستقبل) وهذا ما أثبتته الدراسات النفسية الدقيقة .

التشجيع

من حق الطفل أن يلقى التشجيع فيستحسن أبواه أفعاله وسلوكه ، ويُسددان خطاه ، ويجعلانه يحس أنه قادر ـ مثل الآخرين ـ على العمل والفرح وحسن التصرف ، وعلى صياغة مستقبل زاهر . إن كلمة تشجيع تأتي من أبويه في وقتها تفعل العجائب فتجعل وجهه يحمر ، كما تجعل حركاته أكثر توقداً ونشاطاً ، وبذلك يألف طفل المدرسة الابتدائية الإحسان والتجويد والإتقان ، ونراه يمتلك قدراً كبيراً من الإقدام والمبادرة ، فيشتد ساعده في مقاومة صعوبات الحياة ، ومواجهة متاعب الدراسة والتحصيل .

الصداقة

ومن حق كل طفل أن يجد في أبويه صديقين حميمين يدافعان عنه ، ويدفعان عنه الأذى . فيتقدم إلى المجتمع المدرسي ـ وهو مجتمع جديد عليه في الغالب ـ بهمة أمضى ، وتراه رافع الرأس صديقاً للذين من حوله من الأتراب في المدرسة

والملعب . وكما أن الإنسان الراشد يحفظ الصداقة ، ويوجه إلى أصدقائه الغرباء كل تقدير مبتعداً عن النقد بالطرق الفظة[(١)] أو الأساليب الفجة ، فإن من واجب الأبوين أن يقدما لطفلهما جوّاً من الصداقة والمودة ، ويشعراه أنهما معه وإلى جانبه ويدعما ذلك بالهدية المفرحة والتعقيب الملائم على ما يتعلمه ويسرّه بأن يتحدث فيه إلى مَن حوله . يقول أحدهم :

ـ إذا عاملنا أطفالنا مثل ما نعامل به أصدقاءنا كسبناهم وجعلنا منهم أناساً هانئين .

ـ وإذا عاملنا أصدقاءنا مثل ما يعامل كثير من الآباء أطفالهم سنخسر أصدقاءنا وقد يصبحون أعداءً لنا بشكل مبين .

وإذا فشل الطفل أو شعر بالضيم فالتجأ إلى أبويه كان جديراً أن يلقى عند أمه وأبيه الحماية ، ويتخذ منهما ملجأ ومرجعاً مصاناً ، وعندها سيجد نفسه ـ ويجده الآخرون ـ أوفر ثقةً

---

(١) فلنذكر قوله تعالى يخاطب النّبي : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِن حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩/٣] .

وأمضى قوةً ، ولسوء الحظ إن كثيراً من الآباء مَن يجهل هذه الناحية فلا يجدون ضرورة حتى إلى التعقيب المناسب على قصة يرويها طفلهم ويودُّ أن يُسمعها لمن حوله ، وهكذا يُهمل الآباء قصة ولدهم قائلين إنّها قصة قديمة ومعروفة ، فيدفعانه إلى الانكماش والإحساس بالضآلة !.. ويرى هذا النمط من الآباء أن أوقاتهم أثمن من صنع الأفراح عند أولادهم ، وأغلى من كل ما يقدمه أو يرويه أي طفل وما يدري أب كهذا ولا يعلم أنه يصبّ ماءً بارداً على قدرات أولاده وحماستهم وتطلعاتهم .

المعونة

وخلافاً لهؤلاء نرى الأب العاقل لا يكتفي بتقديم مظاهر التقدير لأطفاله ، بل إنه يحيطهم بجو من المعونة الفعلية والتأييد العملي في الدراسة والرياضة ومنافسة الأتراب . وهنا تُثار مشكلة قوامها السؤال الآتي : « هل نشجع صغارنا ونعينهم بمعنى أن نذلل لهم كل الصعاب ، ونحلّ لهم مسائل الحساب مثلاً ونكتب لهم واجبات الإنشاء والتعبير ؟؟.. » ، هناك من يحبذ هذا الرأي ، ولكنه في رأينا تحبيذ أخرق لا نعدّه مناسباً

أو مقبولاً ، لأنه يجعل طفل المدرسة اتّكالياً لا مبادهة عنده ، أو ضئيل الشجاعة والقدرات ؟؟.. وأفضل من هذا أن نشرح لأطفالنا المسائل التي تواجههم ونضع على الورقة عناصرها ومعطياتها ، ونبين لهم ما ينبغي أن يُصنع ، وما يجب على أحدهم اكتشافه ونشجعهم باستمرار .

هذا ومن الجدير أن نذكر هنا امتيازاً تميزت به حضارة بلادنا ، وذلك حين تحث الآباء على معونة أولادهم إذا كبروا وتقديم المهر اللازم لزواجهم والمسكن الذي سيحيا فيه أولادهم ، فيدفعون عنهم الانحراف، ويضمنون لهم مستقبلهم النقي في الأسر التي يودون إنشاءها . ويمنعون كل فتىً منهم أن يشعر بأن عليه أن يجابه الحياة وحده ، وأن يصارع بمفرده المغريات (وما أكثرها) ، ويساعدونه على أن يظل متمسكاً بأسرته وفيّاً لأبويه وذويه . وسوف يكون في الأيام المقبلة أيضاً أشد وفاء وحارساً لشيخوختهما في أوقات الضعف . ويبادلهما المودة والرحمة .

المرح (البهجة)

يُقال: «إن الحياة نضال»، فهذا القول صحيح وفي كل الأحوال، لكن الأب العابس اليائس الذي يناضل وفؤاده يشكو ويتذمر وتخيم عليه مظاهر الاكتئاب والقلق ، جدير بأن يبث فيما حوله (في أسرته وعمله) الظلام والقتام . وخلافاً لهذا الأب ، نرى أن الأب المرح الذي يتشعع بالمزاح وبالأمل الباسم ينقل إلى زوجه وأولاده الفرح بالحياة والتمتع بالفضائل . هناك آباء ظرفاء تجد الواحد منهم إذا دخل المنزل أدخل معه البهجة والحبور ، وحرَّك كل شيء في أسرته صوب المسرة والرجاء . وتمضي الأيام وتتوالى السنون فيكبر الأطفال فيقول أحدهم : « رحم الله أبي كم كان سمحاً معنا ، كان يداعبنا ويسلينا ويشجعنا على مقاومة الصعوبات بالابتسام في وجهه والأفراح تملأ قلبه » .

أما الأب العابس البائس فإنه لا يتيح لأحد حوله ولا يسمح لأحد أن يشعر بأن في الحياة هناء أو أن في الدنيا العريضة أملاً ورجاء . هناك آباء إذا دخلوا بيتهم أُعلنت فيه

حالة الطوارئ ، فلا مرح ولا مزاح في حضرتهم ، ولا يُسمح بأي لهوٍ أمامهم مهما كان بريئاً ولا بضحك أو بهجة ، وإذا انقضت السنون وتوالت الأيام مسرعة ، تجد الواحد من أطفالهم وقد كبر ، فيقول : « سامح الله أبي كم كان يؤْثر الشجار والكلمات الفظة مع أمي ومعنا ، وكم كان يفتش ليعثر على أخطائنا ، وكم كان يجعل الواحد منا يفتش عن المسرة خارج البيت ، والمرح بعيداً عن بؤس الأسرة ! » .

وهنا نجد أن مبدأ السبب والنتيجة المنطقي يظهر ويتجلى واضحاً في أي أسرة ، فيرى الطفل البار نفسه مدفوعاً إلى **الاعتراف بالجميل ، والطاعة ، والإحسان ، والمعونة .**

الاعتراف بالجميل

إن أبسط ما ينبغي أن يقدمه طفل مهذب أن يعترف بجميل أبويه ، ويقدر جهودهما . والاعتراف يقتضي اللين في القول ، والمسارعة إلى طلب رضاهما ، وعمل ما من شأنه أن يشعرهما أن أتعابهما ليست ضائعة ، وأنهما نالا ما يستحقانه من جميل اللقيا وكريم المعاملة .

الطاعة

أمرنا المولى تعالى أن نطيع آباءنا ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وحَمْلُهُ وفِصَالُهُ في عامَيْنِ أنِ اشْكُرْ لِي ولِوالِدَيكَ إلَيَّ الْمَصيرُ . وإن جاهَداكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما ، وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعْروفاً ﴾ [لقمان : ٣١/١٤-١٥] .

فالآباء (ولو كانوا مشركين كافرين) جديرون (في الإسلام) أن ينالوا خيراً من أولادهم وخدمةً وتوقيراً .

الإحسان

وتتحقق فضائل الاعتراف والطاعة بالإحسان إلى الأبوين ، ففي هذا الإحسان توثيق للصلات بين الآباء والأبناء أو بين جيل الآباء وجيل الأبناء ، فيزول ويمَّحي ما يُسمى بصراع الأجيال ، ذلك الصراع الذي تتميز به الحياة الحديثة في الغرب . والذي لا يعرفه ولا يشعر به الآباء ولا الأبناء

المؤمنون . (ونرجو أن نتحدث حديث الإفاضة في الحلقة القادمة الخاصة بالصحة النفسية للمراهقين بمشيئة الله) .

الخدمة (المعونة)

ومن الطبيعي أن الإحسان يتطلب جوانب عملية ، فما يكفي الولد البارّ أن يطيع والديه ويحسن القول لهما ، بل لا بد أن يظهر هذا الإحسان بصورٍ عملية قوامها المساعدة ومدّ يد المعونة المستمرة لهما ، وخاصة عندما يبلغ الآباء سنّ الشيخوخة ويفضي بهما الكبر إلى الضعف والوهن . وبذلك ترتقي العلاقات بين الأجيال وتنتقل المحاسن والفضائل من البيت إلى الحياة العامة ، حيث يكون جيل الأولاد قد تدربوا زماناً طويلاً على الإحسان والطاعة ، واكتسبوا التكيف والمرونة في الأسرة . ويعبر علم النفس الحديث عن هذا الانتقال بحقيقة يسمونها « انتقال أثر التدريب » .

الصحة النفسية لأطفال المرحلة

في مدارسهم

حين يذهب الطفل إلى المدرسة يكون قد بلغ السن التي يدرك فيها بوضوح أهمية الآخرين ووجودهم .

وتكون النقلة من البيت الحاني (أو من الروضة الرفيقة مثل البيت) إلى المدرسة نقلةً واسعةً وواضحة ، وهنا يترتب على الطفل أن يحس أن للآخرين كيانهم ومكانتهم ، كما أن للمدرسة ونظامها الكيان والمكانة الهامة . وقد تناول علماء النفس والتربية نفسية الطفل في هذه المرحلة بالدراسة والتمحيص فانتهوا إلى جملة مبادئ أو منطلقات تتحدد فيها توجهات أطفال هذه المرحلة نجملها فيما يأتي :

أ ـ لقد قلنا : المدرسة من أجل الطفل وليس الطفل من

أجل المدرسة . ونؤكد هذا القول : إنّ الطفل هو الهدف والمحور للتربية والتعليم .

٢ً ـ وقلنا : إن التربية أهم وأغنى وأشمل من التعليم . إن تكوين الشخصية هو عمل المدرسة وشغلها .

٣ً ـ وقلنا : إن المعلم لا يعلّم ، وإنما التلميذ يتعلم ، والمعلم يعلم بمقدار ما يرغب الطفل ويستطيع أن يتعلم .

٤ً ـ وقلنا : ليس المهم أن يتعلم الطفل (فهذا هام) ولكن المهم الأساسي أن يتذوق ما يتعلم ، إن المعرفة الحقيقية إنما تكون في إطار المحبة .

٥ً ـ وقلنا : لا علم إلا بالعمل . نؤكد ذلك الآن ، ونرى أن المهم أن تتحول المعرفة إلى فعاليات تستهدف تعمير الأرض وخدمة المخلوقات .

١ ـ الشرح والتفصيل

حينما يصل الطفل إلى المدرسة ينبغي أن يلقى الجو

الإنساني اللائق الذي يستقبله والبيئة الجذابة المناسبة التي تكون جديرة به . ويتحقق الجو الإنساني اللائق في المدرسة حين تكون قادرة على :

أ ـ حماية الطفولة ورعايتها .
ب ـ تنمية قدراتها .
جـ ـ حسن تقديمها للمجتمع .

وهكذا ينبغي على المدرسة أن تحمي أجسام الأطفال وتصون فطرتهم وصحتهم ، وترتقي بعواطفهم وإقلاعهم نحو الخير والمعرفة . فهذا هو الجانب المعنوي من البيئة المدرسية ، أما الجانب المادي فيتمثل في البناء .

البناء المدرسي

يجب أن يكون مشرقاً نظيفاً متميزاً ما أمكن بحيث يستمتع فيه الأطفال ، ويحفظون ذكرياتهم عنه ، ويفاخرون به . ويكون حافلاً بالصفوف الواسعة والمخابر والملاعب وقاعات المحاضرات والمسرح والسينما ما أمكن ، مع غرف النشاط الفني

والكشفية والفتوة . فكل هذا يُعدّ من باب الوسائل . والغاية من كل ذلك هي رعاية الطفل . وينبغي ألا تُقدَّم الوسيلة على الغاية أو تستأثر بالاهتمام[١] ، وإذا حصل هذا فإنه سيكون موقفاً غريباً يذكرنا بالقصة الصينية القديمة .

تقول هذه القصة : إن أحد ملوك الصين القدامى تلقى هدية رائعة هي عبارة عن بلبل جميل الشكل بديع الصوت لا يني يقوم بحركات عذبة آسرة وألعاب ساحرة ، طلب الملك من وزرائه أن يصنعوا لهذا الطائر قفصاً يليق به ، فمضوا يفكرون ، ويتفننون في صنع القفص المطلوب ، فكروا في شكل القفص وتكوينه فاختلفوا كثيراً ، ثم اتفقوا أن يصاغ القفص لدى أمهر الصائغين من الذهب الخالص . واقترح بعضهم أن يُنشأ القفص من العاج الثمين ، ولكنهم عدلوا عن الاقتراح لعدم توفر العاج ، وطعَّموا أرض القفص بالجواهر واللآلئ ، واختلفوا ، ثم اتفقوا حول دقة أعمدة القفص وزخرفتها ، وتدارسوا

(١) تفاخر بعض الجهات أنها بنت مدرسة أو أنشأت معهداً أو كلية ، ثم لا يهمها أن تُعنى بالذي يجري في المدرسة أو المعهد ... إلخ .

حول المكان اللائق والأضواء التي تُسلط عليه وماذا يوضع حوله من صور ملائمة للبلبل ، واستمر العمل في هذا القفص شهوراً بل بضع سنوات ، فخرج من بين أيدي رجال الحاشية قفصاً عظيماً رائعاً لم يسبق له مثيل ، لكن الشيء الذي أفسد كل شيء هو أن البلبل كان قد مات قبل أن ينتهي القفص بيوم واحد .

ونحن نسوق هذه القصة لنفيد منها أن بناء المدرسة وشكل الصفوف والمقاعد أمور هامة بلا ريب ، ولكن هذا يجب ألا يطغى على العمل التعليمي ، فتكون المعطيات المادية موجهةً في سبيل العمل التربوي ، ويكون العمل التربوي في خدمة الأطفال وبناء عقولهم وشخصياتهم .

٢ ـ التربية والتعليم

يقوم التعليم على تقديم المعلومات والحقائق إلى الأطفال ويخاطب عقولهم .

أما التربية فتقوم على تنشئة الشخصية بكل أبعادها الجسدية والنفسية والاجتماعية .

التعليم يعين المتعلّم على أن يفكر ويفهم معـــاني الكلِم ويدرك الوقائع والتجارب .

أما التربية فإنها تواجه حياة المتعلمين ، وترعى تكوينهم ونمو قدراتهم متعاونة مع الأسرة والمراجع الصحية والاجتماعية ، إنها هي التي من أجلها تُنشأ المدارس .

٣ ـ المعلم والمتعلّم

يبالغ البسطاء ومعظم الناس بأثر المعلم ودوره ناسين الأطفال المتعلّمين . وكانت قد انتشرت بين المهتمين بالتعليم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مُسَلَّمة مفادها أن الطفل كالعجينة في يَدَي المعلّم يصنعها كيف يشاء ، ويكيّفها بالشكل الذي يريد .

يقول واطسون (التربوي المادي) أعطني عشرة من الأطفال فأتعهدهم وأوجههم فأصنع منهم البشر الذي أريد ، وسيكون منهم المعلم والرياضي والشاعر والقاضي والشرطي ورجل الصناعة أو الفكر أو الزراعة وأكوّن منهم العاطل

والمجرم ...إلخ لكن هذه النظرة المادية قد أفلست ، وأبان العلم التجريبي أن المبالغة بعمل المعلم لا تخدم أحداً وتجعل المعلمين يشعرون بأهمية لا يستحقونها .

إن مقولة واطسون تنظر إلى عمل المربين وكأنهم بناؤون للبيوت ، إن البنائين يبنون البيوت والمساكن متعاملين مع الحجارة والإسمنت والحديد ، وهم قادرون حقّاً على أن يصنعوا الأبنية التي يرغبون فيها بالطريقة التي يتصورونها والمهارات التي يملكونها . لكن المشكل الهام هو أن الأطفال ليسوا حجارة (تقبل النحت) ولا إسمنتاً يمكن أن يُصبّ أو حديداً يُصهر ويُقطّع ، **إنما الأطفال كائنات إنسانية قبل كل شيء .**

وحين نقول : إنّ الأطفال كائنات إنسانية فنحن نعني أمرين اثنين :

أولها ـ أن الأطفال ـ مثل سائر البشر ـ يملكون حاجات كثيرة وما لم تتحقق هذه الحاجات ، فإن الإنسان يعيش منغلقاً على نفسه ، فإما أن ينسحب ، وإما أن يبدي العدوان . إن

الإنسان بحاجة إلى التقدير وأن يُحِب ويُحَب وإلى الشعور بالأمان[1] ، وما لم يتمكن المعلم من ضمان هذه الحاجات في تلاميذه وإشباعها ، فإن جموعهم تظل بعيدة عنه فيكون هو في واد وهم في واد آخر . أما إذا اتخذ الشدة أسلوباً له فقد يسهّل على نفسه مهمته ، ولكن القليلين من تلاميذه هم الذين يستفيدون من ظروفه القائمة على التسلط والإرهاب ومن غلظة علومه .

ثانياً ـ أنّ الأطفال لا يتساوون في القدرات الفطرية والاكتسابية ، أي إنهم لا يستجيبون للمؤثر الواحد باستجابة واحدة . وتفصيل ذلك أن كل فرد يختلف عن أي فرد آخر في الإمكانيات :

● فهذا طفل ذكي وفعال لكنه لا ينصاع للدوافع الخارجية .

---

(١) وسنعقد بحثاً خاصاً لحاجات الأطفال في فصل مستقل من هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى .

● وهناك طفل ذكي كالأول ولكنه أقل منه فاعلية إنما هو ينصاع ويستجيب للدوافع الخارجية (بسبب أنه مادي) .

● وهناك طفل ثالث متوسط الذكاء ونشاط فوق الوسط ويستجيب للدوافع التي تُرضي طموحاته .

● وهناك طفل رابع محدود الذكاء ، منكمش نشيط إذا لقي التشجيع ولكنه لا يملك الطموح كغيره .

ونكتفي بهذه الأمثلة مبينين أن تعليماً واحداً لهؤلاء لا يفضي إلى نتائج واحدة . وواضح أن تعليم الأذكياء لا يمكن أن يماثل تعليم متوسطي الذكاء ولا ضعاف العقول ، كما أن تعليم النشيطين ذوي الطموح لا يماثل تعليم قليلي النشاط أو غير الطامحين .

وينتهي علماء النفس الغارقي إلى أن التعليم يجب أن يكون فردياً فيراعي قدرة كل فرد ، ويستند إلى إمكاناته الخاصة .

أما علماء النفس التربوي فيذهبون إلى أن التعليم يمكن أن يراعي فرديات التلاميذ على أساس تصنيفهم إلى فئات ،

فيصنف المعلم تلاميذ صفه إلى صنف المتفوقين وصنف المتوسطين وصنف المحدودين ، مع محاولة تشجيع المتفوقين على أن يثابروا على التقدم والمتوسطين على أن يتخطوا أوضاعهم والمحدودين على أن يتداركوا شؤونهم . هذا يعني أن قولنا أن المعلم لا يعلم إلا بمقدار ما يستطيع المتعلم ويرغب في أن يتعلم . وهذا لا يمنع أن يقوم المعلم بعمله بهمة ونشاط واضحين ويهيئ لتلاميذه أن يحسوا أن وجود معلمهم معهم فرصة نادرة وأنهم حين يستجيبون له يكسبون أنفسهم ويضمنون ارتقاءهم ويصبحون أفضل فأفضل يوماً بعد يوم وشهراً إثر شهر .

٤ ـ تذوق العلم

ليس المهم أن يتعلم الطفل وإنما أن يتذوق العلم ، فهذا قانون عام وليس خاصّاً بالعلم وحده . وذلك لأننا نعتقد واثقين أن المهم أصلاً ليس أن نظل على قيد الحياة ، وإنما المهم أن نتذوق الحياة ، فهذه هي الحياة الجميلة والجديرة التي تستحق العناء ويطيب فيها النضال ، وتكون في حدّ ذاتها فرصة كريمة أتاحها الخالق الجميل للبشر كي يثبتوا أنهم جديرون بأن يتكاملوا

بالعلم والعمل و يمضوا (في رعاية الله دوماً) صوب التجاوز والصعود نحو خالق الحياة والوجود .

٥ ـ العلم ومنه العمل

لا خير في علم لا ينفع ، ولا أهمية لمعرفة لا تفيد ، هذا ما تعلَّمناه في حضارتنا ، وقديماً قيل :

وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ معذبٌ من قبل عبَّاد الوثن

إنَّ المتعلم الجدير يبدي جدارته لا بتفوقه على أترابه فقط بل بتفوقه على نفسه ، فيغدو أكثر فائدة وعائدة ، ويسعى دوماً ليحسِّن ويجوِّد ويتقن أعماله .

هذا بالنسبة إلى الفرد أما بالنسبة إلى مجموع الأفراد (أو الجماعة) فإن العلم يكون شيئاً ثميناً إذا نمت بفضله الصناعة والزراعة فتضاعف الدخل العام ، وانتعش البائسون والمُتعَبون ، وتحوّلت الجهود التربوية إلى حيث تكون خيراً ، ويكون منها النفع ، ويكون وجودها ومعناها خيراً في خير .

ومن المفيد من أجل المقارنة أن نذكر الفعاليات والمهام التي

يقوم بها طفل في الصف الأول الابتدائي بإنكلترا حسبما وردت في كتاب (تنظيم الحياة المدرسية) لتلاميذ المدرسة الابتدائية الصادر في ١٥/حزيران/١٩٧٠ من مجلس المعارف نذكر هذا لنتبين الميادين الواسعة لتربية الصغار وتعليمهم عندنا وعندهم .

١ ـ تتكون عند الأطفال عمليات فهم (أسماء الأشياء والأفعال وصفات الإنسان وأهم المهن (عامل ـ كاتب ـ شرطي ـ طبيب ـ معلم) .

٢ ـ تتكون عند الأطفال خبرات حسية (حول الألوان والأصوات وروائح الزهور والفواكه ، وحول الأشياء الملموسة ـ خشن ـ ناعم ـ قاس ـ قطيف) .

٣ ـ استعمال المسطرة وقياس (الدفاتر والكتب والمقعد .. إلخ) .

٤ ـ خبرات حول المحبة والصداقة والاستئذان والشكر ومعرفة الكلمات الخاصة بكل هذا .

٥ ـ تمييز النافع والضّار من الأطعمة .

٦ ـ تمييز الأجمل والأقبح من الأصوات والأشياء والحيوانات .

٧ ـ خبرات حول البيع والشراء والربح والخسارة .

٨ ـ تمييز المسموح والممنوع في المدرسة .

٩ ـ في الغناء والأناشيد .

١٠ ـ يتحدث كل طفل عن إخوتِه وأبويه وجواره .

١١ ـ يشارك في الألعاب .

١٢ ـ يشارك في المسرح .

١٣ ـ تكليف جميع الأطفال بأن يشرف كرئيس على جهة من الجهات مثل :

١٤ ـ مراقبة نظافة الأرض والمقاعد في الصف .

١٥ ـ مراقبة نظافة السبورة .

١٦ ـ مراقبة التهوية وحرارة الصف .

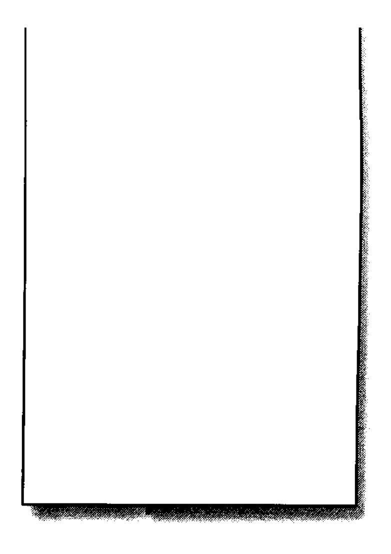
١٧ ـ مراقبة جلوس الزملاء كل واحد في محله .

١٨ ـ مراقبة تعليق ثياب كل زميل في محله .

١٩ ـ مراقبة دخول وخروج ونزول الزملاء على الدرج وصعودهم .

٢٠ ـ مراقبة تعاون (أو اختلاف) الزملاء مع المعلمة .

فلنتأمل في مدارسنا .



نمو الأطفال

طبيعته - خصائصه التجريبية - مهامه

تمهيد

قبل البحث في ميادين النمو (بالمجالات الانفعالية والعقلية والشخصية) نرى أنه يترتب علينا أن نبحث في معنى النمو - وخصائصه .

آ - طبيعة النمو

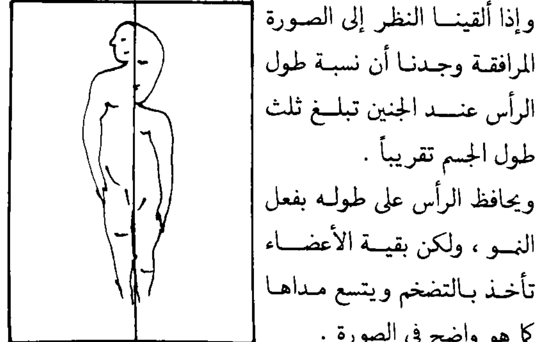
لقد استخلص الباحثون من دراسة النمو لدى الأطفال ميزات أصبحت بمثابة مسلّمات وأهمها :

١ - ليس النمو مجرد تضخم .
٢ - في النمو اختلاف في النسب .
٣ - في النمو اختفاء صفات أو أعضاء قديمة .
٤ - واكتساب صفات جديدة .

١ً - **ليس النمو مجرد تضخم** : أي ليس مجرد زيادة في الكم أو الحجم . إن الطفل في المدرسة الابتدائية يختلف عن طفل

الروضة ، كما يختلف الفتى المراهق عن طفل المرحلة الابتدائية . والطفل في المراحل المتقدمة يتزايد عنه في المراحل السابقة من النواحي الكمية والكيفية والسلوكية ، ويتناول بنية الكائن شكله ووظائفه وقدراته النفسية والاجتماعية كما يتناول اهتماماته وطموحاته .

٢ - في النمو اختلاف في النِّسب : فالطفل ليس رجلاً مصغَّراً - كما كان يُقال في الماضي - وإنما هو كائن آخر يختلف عنه في البنية والوظائف والشكل . إن للطفل شخصية قائمة بذاتها .



وإذا ألقينا النظر إلى الصورة المرافقة وجدنا أن نسبة طول الرأس عند الجنين تبلغ ثلث طول الجسم تقريباً .

ويحافظ الرأس على طوله بفعل النمو ، ولكن بقية الأعضاء تأخذ بالتضخم ويتسع مداها كما هو واضح في الصورة .

واختلاف النسب لا يقتصر على الشكل والحجم ولكنه يتناول الاهتمامات .

فاهتمامات الطفل في السنوات الأولى تنصب على ذاته وألعابه وشؤونه ، ثم تتغير نسب هذه الاهتمامات فتتناول النواحي الاجتماعية في المرحلة الابتدائية ، كما تتناول المشاعر العاطفية والانفعالية مع المراهقة .

٣ - **اختفاء صفات أو أعضاء قديمة :** تضمر الغدة الصعترية تدريجياً ثم تختفي مع نمو الأطفال ، كما تختفي الأسنان اللبنية بدءاً من السنة السادسة ، وتختفي المناغاة بفضل نمو وظهور الوظيفة اللغوية ، ويختفي الزحف بعد ظهور المشي ... (مع اختلاف نسبي بين طفل وآخر) .

٤ - **اكتساب صفات جديدة :** وعملية الاكتساب تترافق مع عملية الاختفاء (أو الضمور) ، فتظهر الأسنان الدائمة بديلاً عن الأسنان اللبنية التي تختفي . وتظهر الصفات الجنسية الثانوية (كظهور الشعر في وجه الفتى وتضخم صدر الفتاة) ، مع ظهور نواح أخرى تترافق مع المراهقة . وهكذا .

ب ـ خصائص النُّمو

للنمو خصائص عديدة هي التالية :

١ ـ النمو متماثل لدى جميع الأطفال .

٢ ـ النمو يتجه من الاستجابات الإجمالية إلى الاستجابات الخاصة .

٣ ـ النمو متواصل .

٤ ـ يسير النمو بمعدلات متفاوتة .

٥ ـ هناك ترابط في النمو .

٦ ـ يتميز النمو بالتكامل .

٧ ـ يتوجه النمو من أعلى الجسم إلى الأسفل .

٨ ـ هناك فروق فردية .

١ ـ **النمو متماثل لدى جميع الأطفال :** يتبع سائر الأطفال نموذج نمو متماثل في الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، فجميع الأطفال يقفون قبل المشي ، ويرسمون دائرة قبل المربع ، ويلاحظ أن الطفل الذي يتخلف في النمو بناحية من

النواحي ، يعوّض هذا التخلف في المراحل أو الأيام المقبلة . ولا يضطرب هذا إلا عندما يصاب المولود بأذى في فترة الولادة . ومع ذلك فإن الطفل المتفوق في ذكائه يكون معدل نموه أسرع من محدود الذكاء .

٢ ـ يسير النمو من الاستجابات الإجمالية إلى الاستجابات النوعية الخاصة : فالجنين يحرك جسمه كله ، ولكنه لا يستطيع أن يحقق استجابات خاصة ، وكذلك حال المولود فإنه يحرك ذراعيه في حركات إجمالية قبل أن يقدر على القيام بتحركات للوصول إلى شيء من الأشياء . وقد كشفت دراسات الكلام أن الطفل يتعلم الكلمات العامة (ني ني) قبل أن يتعلم (حليب) أو لبن أو ما إلى ذلك . وهو يسمي الكلب (عو) ولكن الـ (عو) ليس قاصراً على الكلب أو الكلاب ، بل يشمل كل ما يمشي على أربع كالخروف والماعز والغزال ، إلا أنه بعد أن يستعمل كلمة كلب سيفكر ويستجيب لأنواع الكلاب (سلوقي ـ طرسة ... إلخ) .

٣ ـ النمو المتواصل : يظل النمو متواصلاً دون انقطاع من

تخلق النطفة حتى الموت . ولكنه يتم حسب معدلات مختلفة فيكون سريعاً بعض الحين وبطيئاً في أحيان أخرى .

وبالأسلوب نفسه تتم استجابة الصياح (في أول الطفولة) مارة بالثغاء والمناغاة فالألفاظ البسيطة فالكلمات ثم الجمل .

ونظراً لأن النمو مستمر ومتواصل فإن ما يحدث في مرحلةٍ ما ، يؤثر في المرحلة التالية .

٤ ـ **يسير النمو بمعدلات مختلفة** : في حين أن نمو السمات الجسدية والعقلية مستمر لكنه ليس نمواً وحيد النمط بالنسبة إلى أعضاء أو وظائف الكائن الحي بكامله .

وبقدر ما يتقدم الأطفال في العمر يتزايد استقلال ونمو القابليات العقلية . وكل منها ينمو بحسب معدله الخاص . ويصل إلى مستوى نضجه في عمر معين . فالتخيل المبدع ينمو بسرعة في الطفل ، ثم يصل إلى القمة في بداية المراهقة ، أما المحاكمة فتمر بنمط آخر ، وأما ذاكرة الأشياء الشخصية والحوادث فتنمو بشكل أسرع من نمو الذاكرة المجردة والمعقولة .

٥ ـ **هناك ترابط في النمو :** فالنمو الجسدي يتسـايـر ويتمشى مع النمو العقلي في كل مرحلة . انظر إلى طفل المدرسة الابتدائية تجد أنَّ نموه الحركي في يديه ورجليـه وأنحـاء جسمـه يتسـاوق مع نموه الإدراكي والعقلي والاجتماعي .

وقـد درس (تيرمـان) نمـو الأطفـال المـوهـوبين فتبين أن السمات المرغوبة تنزع إلى التعاون ، ووجـد ترابطـاً إيجـابيـاً بين الذكاء والحجم والصحة والقوة والاستقرار الانفعالي .

٦ ـ **يوجد تكامل بين الوظـائف المترابطـة :** فـاستجـابـات الإنسان تظل متسقة ومتعاونـة ويخـدم بعضهـا البعض الآخر في الاتجاه صوب التقدم والمستقبل .

٧ ـ **يتجـه النمـو الجسـدي من الأعلى إلى الأسفـل :** فينمـو رأس الجنين قبـل قـدميـه ومن المحـور الرئيسي للجسم نحـو الأطراف . وهكذا يتمكن الطفل من السيطرة على يديه قبل أن يستطيع الوقوف أو المشي على قدميه .

٨ ـ **تختلف درجة النمو وسرعته** : من فرد لآخر وتعمل خلف هذا التفرد كل من الوراثة والبيئة .

جـ ـ مهامُّ النُّمو في مراحل الطفولة المتوسطة

إن للأفراد من كل فئة من فئات الأعمار مشكلات خاصة يقتضي حلّها بطريقة ناجحة من أجل الحفاظ على التلاؤم السوي ، فعلى طفل الروضة أن يلقى المساعدة من أجل أن ينظم نومه ويقظته ، ويكتسب العادات الحسنة في التغذية والنظافة ... إلخ ، وعلى طفل المدرسة الابتدائية أن يعتاد وجود الآخرين معه ، ووجوده معهم ، فيتلاءم معهم ويحسن صحبتهم ، وأن يتقبل قواعد المجتمع المدرسي ، فيضبط عاداته وميوله بعيداً عن الاعتماد على الأسرة ومعلمة الروضة . وعلى المراهق أن يواجه مشكلات الاستقلال عن أسرته على الرغم من احترامه لها ، وأن ينمي علاقات جديدة مع الدراسة والرياضة والعواطف والأدب والهوايات المختلفة التي ينتقيها .

أما الراشد فإنه يواجه مشكلات خاصة مثل تعلُّم معاشرة

الزوجة وتنظيم الإنفاق ، ورعاية الأطفال ، بعد أن عالج المشكلات المتعلقة بالكسب وإتقان العمل في المهنة .

وللكهل مشكلات أخرى تدور حول الانسجام مع أولاده المراهقين والتلاؤم مع التغيرات الفيزيولوجية التي تحدث خلال سن اليأس (بالنسبة إلى المرأة) أو خلال تراجع القوة العامة (لدى الرجل) .

دراسة المهام

قام الباحث (روبرت هافينغهورست) بدراسة خاصة للمشكلات النموذجية الفريدة التي تواجه الكائنات البشرية في مختلف مراحلها . وأطلق على هذه المسائل المتعلقة بفاعليات التعلُّم الخاصة اسم (المهمات النمائية)[1] ، فوجد أن ثمة مهمات نمائية تسعة في مرحلتي الرضاع مع الطفولة الأولى والطفولة المتوسطة .

أما مهام الطفولة الأولى فهي : ١ ـ تعلم المشي . ٢ ـ تناول الأطعمة الجامدة . ٣ ـ الكلام . ٤ ـ ضبط إخراج فضلات

(١) انظر كتاب النمو البشري وعلاقته بالتربية لـ (روبرت هافينغهورست) صفحة ٩ ـ ٤١ .

الجسم . ٥ ـ تعلم التفاهم والتواضع مع أطفال الجنس الآخر . ٦ ـ تحقيق الاستقرار الفيزيولوجي . ٧ ـ تكوين مفاهيم أولية عن الواقع الاجتماعي والمادي . ٨ ـ تعلم الارتباط الانفعالي والإحسان إلى الوالدين والأقارب والناس عامة . ٩ ـ التمييز بين الخطأ والصواب في التعامل وتفتح الضمير الأخلاقي .

ويتعلق نجاح الأسرة في أداء واجباتها إزاء أطفالها بمقدار توافق هؤلاء الأطفال في إنجازاتهم من أجل أداء هذه المهام بصورة سوية (من غير انحراف أو عدوان) .

مهمات مرحلة الطفولة المتوسطة : ١ ـ تعلم مهارات جسدية تتعلق بالأعمال العادية . ٢ ـ تكوين مواقف سليمة تجاه الذات . ٣ ـ تعلم الانسجام مع الأتراب . ٤ ـ تعلم الدور الاجتماعي المناسب للذكور والإناث . ٥ ـ إنماء مهارات أساسية في القراءة والكتابة والحساب . ٦ ـ تنمية مفاهيم ضرورية للحياة اليومية بالأسرة والمدرسة وخارجها . ٧ ـ تنمية ضمير أخلاقي (ينسجم مع الطيب من القول وتقدير العمل الصالح)[1]

(١) أضاف المؤلف الفقرة الكائنة بين قوسين .

٨ ـ تحقيق الاستقلال الشخصي . ٩ ـ تنمية المواقف المتعلقة بالزمر الاجتماعية .

والمفروض أن يكون الطفل (الذي يدخل المدرسة الابتدائية) قد أتمَّ إنجاز مهام الطفولة الأولى أو أنه بسبيل هذا الإنجاز ، ومن ثم يشرع في إنجاز المهام الجديدة ، وإذا ذكرنا أن الطفل في المرحلة المتوسطة بدأ يدخل في المجتمع المدرسي ، فإنه يترتب على هذا أن تكون مسؤولية تحقيق المهام نسقاً مشتركاً بين الأسرة والمدرسة .

ومن الطبيعي أن نقول : إن طفل المرحلة المتوسطة ينجح في تكوين شخصيته إذا هو قبِل التفاهم مع أسرته ومدرسته . وأنه إذا فشل في ذلك فسيقع في نتائج مؤسفة تؤثر على مستقبله الشخصي .

فلنأت على بيان أنواع النمو في مجالات (الجسد والأهلية الجسدية) و (الحياة الانفعالية) و (الإمكانات العقلية) .

النُّمو الجسدي

إن كلاًّ من الصحة ونمو الطاقة وتوازن هذا النمو مع الأهلية الجسدية للطفل ؛ تساهم جميعها في النجاح المدرسي والنمو العقلي واستقرار الشخصية . وهكذا فإن معرفة الخصائص الجسدية لطفل المدرسة تنير لنا طريقنا لتفسير سلوكه في البيت والمدرسة .

إن الطفل الذي يتعب بسرعة ، أو يهتاج وينفعل ، أو يكون سيء الصحة أو التغذية ، أو يختلف كثيراً عن زملائه في الصف ، هذا الطفل يعاني من صعوبات تحول دون حسن انسجامه مع غيره ومن الاستفادة الكافية من الدراسة وعلى المربية ألا تتسرع باتهام الأطفال ووصمهم بالانحراف .

مثال : كانت (هند) تلميذة في الصف الرابع الابتدائي ، وكانت العادة أن تقف التلميذات حين تدخل المعلمة إلى الصف ، فوقفت مثلما وقف غيرها ، لكن المعلمة تسرعت وعاقبتها ظانّة أنها ما تزال جالسة ، في حين أن قصرها جعلها تختلف عن الزميلات .

النمو الحركي : ثمة ملاحظات يحسن الاطّلاع عليها ومعرفتها هي :

١) يولي الأطفال وخاصةً الذكور منهم أهمية كبرى للقوة الجسدية والنشاط أو التوافق الحسي ـ الحركي . ويُلاحظ وجود علاقة وثيقة بين شعبية الطفل (بين أقرانه) أكثر من العلاقة بين شعبيته مع ذكائه .

٢) يلاحظ بشكل عام أن هناك تفاوتاً بين النمو الجسدي (أو الطول) والنشاط الحركي ، فليس كل طفل طويل أو نامٍ في جسمه نشيطاً ويملك القدرات الجسدية الملائمة لطوله .

٣) يلاحظ أن العلاقة ضعيفة بين القدرة العقلية والمهارات الحركية . فليس كل نشيط ذكيّاً ولا كل خامل محدود الذكاء .

٤) أن الطفل الذي يُدلل في بيته وينال حماية زائدة فيه يكون محدود النشاط في مدرسته من حيث الحركات ويفقده هذا التدليل الفرص التي يحرزها غيره من النواحي المتعلقة باكتساب المهارات الحركية ، ويؤدي هذا إلى أن تترفق المعلمة

مع الأطفـال سيئي الصحـة وقليلي النشـاط ، وتسعى إلى مزيـد من التشجيع كي تترتقي أفراد المجموعة .

نمو الشخصية

أولاً ـ ليست الشخصية حاصل جمع صفات جسدية ونفسية واجتماعية ، وإنما هي شيء أهم وأبلغ ؛ إن الشخصية صورة منظمة متكاملة وموحدة ، لشعور فردٍ يُحسُّ بأنه يتميز عن غيره ويستقل بذاته .

ثانياً ـ لا يملك الطفل شخصيته حين الولادة ، بل سوف يملكها بفضل نضال طويل وتطور مستمر . إن الشخصية شيءٌ يتكون وليست كائناً يكون ذات يوم . وحياة الطفل منذ ولادته أشبه بالبذرة ، وكما أن البذرة تحمل خصائص الشجرة ووعودها ، فإن الطفولة تكون أشبه بالبذرة تُغرس في البيت أولاً ، ثم تخرج شتلة ذات ساق وأوراق في المدرسة الابتدائية ، ولتغدو نباتاً حسناً يؤتي أُكله يانعاً بإذن ربِّه ، ولا يقف هذا النبات الإنساني عن التفتح والتوسع باستمرار ، بل يظل يأخذ ويعطي حتى نهاية العمر .

عوامل تكوين الشخصية

يجمع علماء النفس على القول : إنّ الطفل يولد في حالة انطواء ذاتي ، وتتصف نفسيته بأنها منحلّة مستغرقة كليّاً في ذاتها ، غريبة عن العالم الخارجي . ويشبهونها بحالة مرضى الفُصام الذين يحيون مغلقين على أنفسهم ، وكأن لا شيء هناك خارج ذاتهم .

ثم ينتقل الطفل من ذلك إلى حالة يسمونها مركزية الذات (Egocentrism) يظل فيها بين السنة الثانية من عمره حتى السادسة . وفي هذه المرحلة يكون الصغير قد بدأ يُطلّ على العالم الخارجي ، ولكنه يُحس **وكأنه هو مركز العالم** . فالعالَم صنع من أجله وعلى قدّه . ولكي يتخلص من هذه المرحلة الذاتية يحتاج إلى توثيق علاقاته وإغناء تجاربه في اللقاء مع غيره . إن لقاءاته المتعددة مع الهيئة الاجتماعية هي التي تساعده على اكتشاف شيئين في آنٍ واحد ، شخصيته المستقلة وشخصيات الآخرين .

عـامل النقص : يشير العـالم النفسي (آدلر) إلى أن المولود يولد ثم يتفتح على الحياة شـاعراً بنقصـه وضـآلتـه ، وهو يضيق بهذا الشعور ، فيسعى جاهداً كي يتحرر من حالـة النقص بفضل إرادة القوة القـائمـة على غريزة السيطرة ، وحبّ التفـوق . لقـد كان (آدلر) أول الأمر تلميـذاً لفرويـد (صـاحب النظريـة الجنسيـة) التي تُرجع كل شيء في الإنسـان إلى الجنس والليبيـدو (أو الميل إلى اللذة) ، ولم يكن فرويد يقبل النقـاش ، بل كان صلباً ميـالاً إلى الصَّلَف والتكبر ، فحـدث الانفصـام بين فرويـد وآدلر (مـع مفكرين كثيرين أمثـال يـونـغ ، وشتيكل) ومضى كل واحـدٍ في طريقـه رافضـاً أن يُعطى الجنس المقـام الرئيسي الهام في بناء الحياة النفسية .

يقـول آدلر : « إن الإفراط في الكـلام عن الجنس ومنحـه الأهمية الكبرى ، لا يوقعنـا إلا في البلبلـة وإضطراب الرؤيـة ، والحق أن الإنسـان أبلغُ وأغنى من أن يستبـد بـه عـامل عضـوي واحد كالجنس ، إن الإنسان يسعى من أجل البقاء وإغنـاء هـذا البقاء .

عامل الجهد : أما (مين دوبيران) فإنه يذهب إلى أن المولود يحيا منذ ولادته محاطاً بالصعوبات ، وأن مقاومته الصعوبات تتيح له فرص الإحساس بذاته ، وهكذا فالطفل يُجهَد عندما يواجه ويقاوم الأشياء الخارجية يدفعها عنه بينما هو لا يشعر بأي جهد حينما يحرك جسمه ، لأن جسمه خاضع لحركاته العفوية ، خلافاً لحركاته أمام المعوقات . موجز القول أن الجهد يعين على تكوين الشخصية .

بناء شخصية الطفل

كانت مرحلة الطفولة الأولى (بين الولادة والسنة السادسة) مجرد (إعداد للشخصية) . كانت فترات قابليات تنمو واستعدادات تتفتح مع الأيام ، فتغدو وعداً بتكون الشخصية . فإذا أقبل الطفل على نهاية الطفولة وانطلق خارج الأسرة ، ومضى يتعرف على الأتراب والصحاب ، ويطلع على قواعد الحياة المدرسية والاجتماعية ، ويضبط نفسه كي يلتزم بها . إذ ذاك يمكننا أن نتحدث عن شخصية أشرق فجرها وشرعت تتثبت وتتبلور مارة بمراحل أهمها :

١ ـ خبرات أولية :

● قلنا : إنّ الطفل يأتي إلى المدرسة وهو يحسُّ أنه أضأل من غيره من تلاميذ الصفوف العليا . وأنه مساوٍ لأصدقاء قد يساعدونه على بناء ذاته أو يعاكسونه ، أثناء انهماكهم في بناء ذواتهم .

أما الكبار فإنهم أكبر في الجسم والشكل ويتجاوزونه في أمور كثيرة تخص مجالات العلم والرياضة ، ويظهرون له نماذج تحتذى ، وأما الصغار فإنهم يتحدَّونه أيضاً فلا يبالي ببعضهم ويتقرب من بعضهم ، ويتجاوز بعضهم .

● فإذا لقي من المربين والمعلمين ما يستحقه من أجل نموه ، وإذا تجاوب مع النظام والغذاء العقلي الوافد إليه ولغيره ، فإنه يساعد نفسه على النمو المستمر ، ويصلب عوده وتقوى صحته ويغدو شيئاً مذكوراً أو عادياً أو دون ذلك .

● ويكون التشجيع أداة مفضلة للتسارع ، إنه الآن يحس بأهميته مع مرور أيام الدراسة ، وهو ذا يكتب ويقرأ ويحفظ

ويسمّع ، يلعب ، ويتوقف ، وكل هذا جدير بأن يوقظ أشياء كثيرة في نفسه . ويحدد لون شخصيته .

● وها هي ذي أمه تهيء له الأشياء المدرسية من ثياب وأدوات ووسائل اللعب والدراسة . إنها تودعه في الصباح ماضياً إلى المدرسة وتستقبله في المساء ، يالله كم هو جميل أن يكبر الإنسان !!.. وأن تكون له منزلة في نفوس الآخرين .

● ويبدأ يتعلم كيف يتقيد بضبط الوقت ، كيف يستأذن ويشكر مَن أسدى إليه معروفاً ، سيؤدي التحية ، ويتعلم الرَّد عليها ، واستعمال الكلمة الطيبة ، كما يتعلم صنع المعروف والإحسان إلى الجميع ، والدأب على التعاون ، وسيفيد من تعلمه كل هذا من أجل إنجاز الأعمال والإتقان والسيطرة على النفس ، والسير في مدارج الطموح .

● سيُطل على عالم المعاني الحلوة والأشعار الجذابة والأصوات الشجية ، سيساهم في الغناء ويتعلم الإنصات إلى التلاوة والخشوع في الصلاة ومراقبة الشروق والغروب من أجل

الصيام ، وسرعان ما يحس بجمال الكون وروعة النجوم في الليالي الصافية ، والتمتع بالقمر البديع والصمت الشجي .

تكامل الشخصية

من الخطأ الفادح أن يُظن أن المكتسبات التي يتعلمها الطفل والاستجابات التي يستجيب لها تتكدس إلى جانب بعضها وتتراكم ، والأصح أن نتصور أن كل جديد يعدّل ما هو قديم ويتحد به . وهكذا فإن الشخصية (التي وإن كانت تتم على مراحل) إلا أنها تقوم في كل مرحلة على صهر جميع أجزائها في خدمة الفعاليات الأهم ، فالجسم يخضع لمطالب النفس ، والانفعال يتدخل وينضبط في خدمة الإرادة ، والعادات تساعد على مقاومة الصعوبات ... أما الذاكرة فهي العنصر الهام الذي يضمن الربط والمؤازرة في وحدة الشخصية . لقد شبّهوا الذاكرة في الحياة النفسية بالجملة العصبية في الحياة العضوية فكلاهما يحقق الربط والتآزر والتكامل .

هذا من حيث اتحاد العناصر المؤلفة للشخصية أما تكاملها

فلا يتم إلا في وحدة الاتجاه الشخصي ، والمثل الأعلى يدعم مع الطموح هذه الوحدة ، وهكذا نرى الشخصية المتزنة المتكاملة كيف تختلف مع الشخصية المفككة التي لا تجمّع ولا تقرّب بل تفرق وتباعد .

وهكذا فإن التكامل النفسي يتم بالانتفاع من تجارب الشخصية كلها وتجاوز الفشل .

نموذجا الشخصية

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى الدراسة الفذة التي قدمها العالم النفسي (كارل يونغ) للشخصية .

يفرق يونغ (بناءً على ملاحظاته وتجاربه) بين نمطين من أنماط الشخصية ؛ نمط المنبسط ونمط المنطوي .

النمط المنطوي (المنغلق) يتصف بالصفات الآتية :

١ ـ الدوافع الداخلية الشخصية هي التي تؤلف الجزء الهام من سلوكه .

٢ ـ يُخضع أعماله لمبادئ ذاتية دون أن يأبه كثيراً بأقوال المجتمع وآرائه .

٣ ـ يتعسر تكيفه حين يدخل مجتمعاً جديداً . وقد يظل منعزلاً مدة طويلة .

٤ ـ إذا واجه الصعوبات التجأ إلى أحلامه ورؤاه . وخاصة حين يمرض .

٥ ـ المرض النفسي الذي يتعرض له هو الوسواس .

النمط المنبسط (الانبساطي) يتصف بالصفات الآتية :

١ ـ الدوافع الخارجية العامة هي التي تؤلف الجزء الهام من سلوكه .

٢ ـ يُخضع أعماله لمبادئ خارجية .

٣ ـ يعقد صداقات جديدة بمهارة ، سطحي ويتكيف بسهولة .

٤ ـ لا يهتم كثيراً بصحته ، وإذا اصطدم بحائل فإنه يتحدث فيه ، ويعوض عن متاعبه وظروف فشله .

الصحة النفسية في تربية الشخصية

إن عاطفة اعتبار الذات هي أهم ما ينبغي أن يُعنى به المربِّي ، وعاطفة اعتبار الذات تختلف عن الأنانية وحبّ الذات ؛ ذلك لأن الأنانية تشير إلى الفقر والشّح العاطفي . إن كل أناني متكبر ضعيف وجبان ، وهو يخفي ضعفه بقناع ظاهري يظهره بمظهر القوة . وهكذا فالمربِّي اللامع يشبع في الصغار ميولهم إلى (أن يُحِبّوا) و (يُحَبّوا) ، فعن طريق المحبة يكتسب الإنسان نفسه ويغدو أعظم من نفسه . وتختلف شخصية الطفل عن شخصية الراشد في أن الطفل لا يدري تماماً ماذا يريد ، وهو يعجز عن الوقوف موقف الكبار في وجه شهواته .

أما الراشد الكبير فإنه يستفيد من خبراته وذكائه وكلاهما يوحي إليه أن يتخلى عن بعض المطالب والشهوات ، كي يكون

حصوله على غيرها أهون وأكمل . وهذا يؤدي بنا إلى الإشارة للمثل الأعلى ، والمثل الأعلى هو الصورة التي يرتسم فيها الطموح وقوة الإرادة . وإن هوى المثل الأعلى أمر قيّم وقد لا تعدلُهُ إلا الإرادة القوية ، وهكذا قيل : اثنان يصنعان العجائب رجل يهوى ورجل يريد . وبمقدار ما تكون هواية الشخصية ورغباتها سامية وصافية فإنها تغدو ملكة بحق .

وتنمو هذه الملكة وتتألق ، لا يقف في وجهها حائل وتظل تصعد ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠/٣٥] . وهذا يذكرنا بأحد الأطباء العظماء الذي كان يسهر على مرضاه حتى كاد يصبح واحداً من المرضى ، ولما قيل له : « هناك حدود للعمل » ، أجاب : « نعم هي الحدود التي يجب علينا أن نتخطاها دوماً » .

هكذا تكون الشخصية معتبرة وتكون الصحة النفسية عظيمة . إنها شخصية تُلذ بالتعب وتفرح بالألم من أجل خدمة الناس والآخرين . وهي لا تكاد تعرف الراحة إلى أن تنتهي من البذل ، فإذا انتهت أخذت تضاعف مجدداً من جهودها .

وشعارُها دوماً ﴿ فإذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ[1] وإلَى رَبِّكَ فَـارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٧/٩٤-٨] ، ومثـل هـذه الشخصيـة تعلم جيـداً أن القيمـة ليست للحياة وإنما للروح التي يحيا بها الممتازون ، وهي لا تفوز بمظـاهر الاحترام والتقـدير من قبل الآخرين وحسب ، بل إنهـا تحتفظ دوماً في أعماق ذاتها بحقائق التقدير لامعةً وضيئة .

الأهلية الجسدية : يلاحظ بشكل واضح أن صحة الأطفال ونموهم الظـاهري قـد تحسّنـا في السنوات الثلاثـة الأخيرة ، ومـع ذلـك يُرى بصورة مؤكـدة تـدهـور كبير لـدى الأطفـال الـذين هاجر أهلوهم من الريف إلى المدينة .

وقد كان الآباء الريفيون يملكون قدرات فائقة في التعـامل مع الأرض وما يتعلق بهـا من ركوب الخيل ، والتـأثير المطلوب في الـزراعـة والقطـاف وقطـع الأشجـار ، أمـا أطفـالهم فـإنهم يضطرون إلى العيش في ظروف معيشـة محـدودة الحركـة . ولا تستطيـع الريـاضـة المصطنعـة في المـدارس أن تقـوم مقـام الطبيعـة الفعـالـة ، في تقويـة الأبـدان والمحـافظـة على الأهليـة

(١) أي اتعب .

الجسدية . ولا يقتصر هذا على أطفال الريفيين بل يتناول الآباء والأمهات المهاجرين أنفسهم إلى المدينة .

النّمو الانفعالي : معروف أن الانفعال سلوك اضطرابي واضح يتجلى في الإنسان بسبب الإثارة أو فرط التنبيه ، ومثاله الغضب والخوف والحزن وحتى الفرح ، فهذه المفاهيم تشير إلى الانفعالات ويسميها البعض بالهيجانات . ولا يَقتصر الانفعال على الهيجانات المذكورة بل تضاف إليها العاطفة والميل . وبسبب الاضطراب الذي يكمن خلف الانفعالات والعواطف تظل الحياة الانفعالية ذات تأثير بالغ في الشخصية من النواحي النفسية والجسدية والاجتماعية .

وهكذا يتعرض سريعو التهيج إلى معاناة صعوبات لا يعاني منها الذين يملكون التوازن الانفعالي . ولكي تنجح الجهود التربوية في نمو الشخصية فإنها مطالبة بالتعرف إلى الاضطراب الانفعالي والتماس أسبابه والدوافع التي تؤدي إليه .

وهكذا يتأثر نمو الأطفال وتوازنهم الشخصي بمؤثرات

تتعلق بالنضج كما تتعلق بالبيئة والتربية . وقد استُبعدت في الفترة بين القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مؤثرات الوراثة ، إلا أن الأبحاث الجديدة أبانت بشكل واضح تأثير المورثات في بنية الفرد وصحته ونشاطه .

دور النضج : إن الأسباب التي تؤدي إلى غضب الأطفال أو فرحهم تتأثر بعوامل كثيرة من جملتها السن ؛ فالأشياء التي تُفرح أو تُغضب أطفال السنة الرابعة تختلف عن التي تفرح أو تغضب أطفال السنة السابعة وهكذا .

فالطفل في السنتين الثانية والثالثة يغضب إذا مسَّ الآخرون ألعابه أو تدخلوا في ألعابه خلافاً لما يكون عليه غضب الطفل في السنة الثامنة ، ويُلاحظ أن أطفال المرحلة الابتدائية يشرعون باللعب مع زملائهم منذ دخولهم المدرسة ولا ينزعجون إذا مُسّت ألعابهم ، بل نجدهم يبتهجون إذا هم مارسوا اللعب مع الآخرين .

وقد يستاؤون أو ينفعلون إذا لم يسمح الآخرون باللعب معهم أو لم تُتَح لهم الظروف المناسبة .

أثر الآخرين : إن الطفل الذي يسير مع أبيه ماسكاً يده لا ينفعل أو يخشى رؤية كلب ، وخاصة إذا كان مع الكلب صاحبه ، وعكس ذلك يكون إذا كان الطفل وحيداً ، وقد تؤدي حادثة (ولو كانت فريدة ولم تتكرر) إلى خلق مضاعفات في شخصية الطفل وتوازنه مثل رؤيته حصاناً هائجاً أو مشاهدته بناءً ينهار . وكثيراً ما تؤدي حادثة كهذه إلى التأثير في سلوك الطفل الاجتماعي في اليقظة والأحلام . والشيء الهام في النمو الانفعالي هو تجاوز الهيجان والوصول إلى التوازن ، علماً أن التوازن الانفعالي لا يتم عفوياً بل يحتاج إلى تربية طويلة وتعوُّد مقصود .

النُّمو العقلي : يختلف العلماء في تحديد معنى الفعاليات العقلية اختلافاً كبيراً ، فمنهم من يقصد بها الذكاء ، وآخرون يقصدون بها القدرة على التعلُّم أو استنباط المعاني من معانٍ أخرى ، أو البداهة وسرعة الإدراك ، أو التفكير الاستدلالي ، أو استخدام اللغة ، أو التخيل المبدع . والواقع أن جميع هذه الفعاليات تدخل في نطاق ما يسمى بالقدرة العقلية .

الذكاء : وله تعريفات كثيرة وتفرعات أهمها :

١ ـ الذكاء هو القدرة على التفكير المنظم . ٢ ـ القدرة على الاكتساب والتعلُّم . ٣ ـ القدرة على تحقيق التكيف والتلاؤم مع المشكلات الطارئة . ٤ ـ القدرة على القيام بعمليات ذهنية مجردة هي الفهم ، والإبداع ، والتوجيه ، والنقد .

وقد وضع الباحثون والعلماء اختبارات عديدة سميت باختبارات الذكاء ، وهي عبارة عن أسئلة توجَّه نحو الإنسان (كل إنسان بمفرده) تحدد مدى ذكائه . (أو المجموعات) تحدد مستوياتها .

وتعتمد هذه الاختبارات على مبادئ أهمها :

مبدأ الصعوبة : فبقدر ما يكون الطفل قادراً على حلّ المشكلات الصعبة ، يُعدُّ ذكيّاً .

مبدأ الاتّساع : فبقدر عدد الإجابات الصحيحة التي يقوم بها الطفل يكون ذكيّاً .

مبدأ السرعة : أي إن الزمن الذي يستغرقه أو تتطلبه الإجابة عن أسئلة الاختبار يحدد مقدار الذكاء .

أهم الاختبارات : هي اختبارات (بينيه) التي عدلت فسميت اختبارات (بينيه سيمون) ، وهي تعتمد على مبدأ الاتساع (أي تعدد النواحي التي يسعى الاختبار إلى اعتبارها حدّاً للذكاء) .

ويقوم اختبار (بينيه) على معنى (العمر العقلي) بالنسبة إلى (العمر الزمني) لكل طفل . وقد بيَّنت التجارب والاختبارات أن نسبة **العمر العقلي** إلى **العمر الزمني** تكون ثابتة بالنسبة إلى كل طفل ، وانتهت هذه الاختبارات إلى القانون :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

واعتبر الرقم (١٠٠) مشيراً إلى الوسط .

وإذا ارتقت نسبة العمر العقلي إلى العمر الزمني (أو انخفضت) كان ذلك يدل على ارتقاء ذكاء الطفل أو انخفاضه عن العمر المتوسط . واصطلح الاختبار على القول :

إن نسبة الذكاء التي تحدد (٧٠) وأقل تشير إلى ضعف الذكاء .

وأما نسبة الذكاء التي تكون بين (٨٠ ـ ٩٠) فتشير إلى اعتبار الطفل دون المتوسط ، ومادون ذلك تكون البلاهة .

وأما نسبة الذكاء التي تكون بين (٩٠ ـ ١١٠) فتشير إلى اعتبار الطفل متوسط الذكاء .

وإذا كانت النسبة (١١٠ ـ ١٢٠) فتشير إلى فوق المتوسط .

أما النسبة بين (١٢٠ ـ ١٤٠) فتشير إلى الذكاء الواضح القوي .

وكذلك تكون النسبة بين (١٤٠) فما فوق مشيرة إلى الموهبة والعبقرية .

التفكير

تمهيد

القدرة على الفهم

إذا قام الطفل باشتقاق المعاني من خبراته وتعـديل سلوكـه طبقاً لهذا الاشتقاق ، فإنـه يكون نـاضج العقل أو الفكر ، فـإذا تمكن الطفل من الابتعاد عن أمه حين تحضر من غيابها ، خشيـة أن توقع عليه العقاب بسبب أنه كان يلعب بـالمـاء ، فـإنـه يُعـدّ مالكاً القدرة على الفهم .

ويتأثر اشتقاق المعاني من المعاني أو الأشياء بالعالم الخارجي ومقـدار احتكاك الطفل بـالنـاس والأشيـاء . إن طفلاً أُكرم من قبل معلم نـاجح يستطيـع أن ينمي قـدرتـه على الفهم أمـام هـذا المعلم ، بحيث يختلف عن حـــالتــــه حين يُهـــان من معلم آخر (وخاصةً حين يبدو له أنه يظلمـه)، والمهم دومـاً ليس أن يكون

الطفل ذكيّاً فقط ، بل أن يتعلم ليستخدم ذكاءه فيما ينمي معرفته ويستخدمها في خدمة نفسه والناس والحياة .

القدرة على التفكير

التفكير هو حل المشكلات عن طريق الرموز ، إنه الفعالية الذهنية التي تؤدي إلى حلّ المشكلات بطريق المحاكمة أو الحدس[١] . ويكتسب الطفل معلوماته وخبراته بواسطة الحواس ، أول الأمر يتعامل مع المحسوسات ، إنه يعلم أن أمه وصلت إلى البيت عند سماعه صوت المفتاح يتحرك في قفل الباب ، ويظل الطفل يتعامل مع المحسوسات زمناً ما (قد يطول عند محدودي الذكاء) ثم ينتقل من التعامل مع المحسوسات إلى التعامل مع رموزها .

هذا الانتقال من استعمال الأشياء المحسوسة إلى استعمال رموزها هو انتقال من المحسوس الجزئي إلى المعقول الكلي .

---

(١) يراجع كتابنا الموجز في علم النفس ، ص ١٥٣ وما بعدها . لقد قيل : إننا بالحدس نكتشف وبالمحاكمة نبرهن .

فالطفل في السنة الأولى والثانية يتعرف إلى معنى (بابا) من مشاهدته أو معرفته أباه ، ولكنه بعد ذلك يفهم معنى كلمة (أب) التي تشير إلى كل والد طفلٍ من الأطفال .

إن كلمة (أب) وما يماثلها تُسمى في علم النفس رمزاً . والرمز يختزل بطريق اللفظ آلاف الأشياء والمحسوسات ، فتقوم الكلمة مقام الأشياء . ولو ظل الطفل يتعامل مع الأشياء المحسوسة ، لظل أسير تلك الأشياء ومحدوداً بها ، وبذلك يضطر الطفل إلى أن يجمع في ذهنه صورة حسية مشخصة عن كل شيء يراه أو يطلع عليه ، وبالتالي فإنه سينوء بملايين الأشياء أو الجزئيات . وتلافياً لهذا ينوب الرمز اللفظي مناب كل الأشياء المتماثلة .

الخلاصة : إنّ انتقال الطفل من استعمال الأشياء إلى استعمال رموزها ، أو انتقاله من المحسوسات الجزئية إلى المعقولات العامة والمجردة هو ما يساعد الطفل على التفكير . ومن الواضح الجلي أن الإنسان هو وحده القادر على هذا الانتقال في حين أن الحيوانات لا تقدر على ذلك .

أجل إن الكلب يعرف صاحبه وكذلك الحصان ، ولكن كلاً منهما لا يصل إلى فكرة (صاحب) ، ولا يستطيع أن يتعامل مع معنى الرجل الآخر بوصفه صاحباً لكلبه أو حصانه . كما لا يستطيع كل من الكلب والحصان أن يفهم مثلاً عبارة (الصاحب ساحب) أو عبارة (الصاحب كالأخ) . وهذا شيء مؤكد ، فإننا لم نسمع عن حيوان ربّع عدداً أو استطاع أن يفهم معنى الجذر التربيعي أو التكعيبي لعدد من الأعداد .

وسيظل الحيوان عاجزاً عن حلّ مشكلة عامة مثل التغذية أو المواطنة أو الإخلاص . وصحيح أن ثمة امتيازاً يتميز به الكلب في سلوكه الوفي والمخلص ، إلا أن سلوكه هذا لا يُعدُّ تفكيراً ، أو بنتيجة التفكير ، وإنما يظل مقيداً بآلية سلوكه الشخصي ، أو ما يسمى بالغريزة . والكلب المخلص لا يمكنه أن يفهم معنى الإخلاص مثلاً بين صاحب وصاحب آخر أو بين كلب وكلب .

المقصود من كلمة التفكير : لقد قلنا : إن التفكير هو حلّ المشكلات عن طريق الرموز ، ولكن التفكير يعدُّ من الأمور المعقدة ، ويُفهم منه أمور عديدة .

• فقد يستعصي عليك تذكر اسم نهر أو بلد عرفته في الجغرافيا فتقول لمن يحدثك : دعني أفكر باسم هذا النهر ، وأنت تقصد بهذا أن « أتذكر » اسمه . فالتفكير هنا يقصد به التذكر .

• وقد يشرد أحد الأصدقاء عن الحديث الجاري في السّمر ، فيقال : إنه « يفكر » ، والمقصود أنه « يهجس » ، أو يحلم حلم يقظة .

• وقد تقول عن كاتب قصصي : إنه شرع يفكر في أن يختم قصته ، وأنت تقصد بهذا أنه في حال « التَّخيُّل » .

• وعندما يشرع المحامي يقلّب وقائع القضية التي توكّل للدفاع عنها ليستخدم تصوره أو تصوراته أمام القاضي ، فإن هذا المحامي يقوم بعمل « تبرير » لموكّله ، ويُسمى هذا : (التبرير) بمنطق العواطف .

ومع هذا كله فإن معنى التفكير يختلف عن كل الفعاليات التي تقوم على كل من التذكر ، والشرود ، والتخيُّل ، ومنطق العواطف ، لأن علماء النفس يتناولون بالبحث في هذه

الفعاليات فيبحثون في الذاكرة بوصفها بحثاً مستقلاً ، كما يبحثون في الشرود والتخيُّل والمحاكمة ومنطق العاطفة ، بوصف كل ذلك قابلاً لأن يكون موضوعاً مستقلاً بذاته .

ونعالج فيما يأتي أبحاث النمو اللغوي ـ التذكر والتخيل ـ تاركين إلى الحلقة الخاصة بالمراهقين والراشدين ما يتناول الموضوعات المنطقية من المفهوم والحكم والمحاكمة ومنطق العواطف . وكل هذا سنتناوله بمشيئة الله في كتابنا الصحة النفسية للمراهقين والراشدين .

النُّمو اللغوي

إذا تذكرنا الدراسات الجديدة التي اكتشفها الباحثون حول الجنين ، وراجعنا عبارة (توماس ڤيرني) التي يقول فيها : « إن المولود الذي يأتي إلى العالم لا يكتسب شيئاً جديداً كان يجهله كل الجهل ، وإنما هو يتابع وينمي بعد الولادة ما كان قد اكتسبه إجمالاً في بطن أمه . ولقد أثبتت المشاهدات أن المولود الذي تحدثت أمه (وهو جنين في بطنها) وغنَّتْ له سوف يكتسب

الألفاظ والكلمات بشكل أسرع وأيسر (كمّاً وكيفاً) فيكتسب ألفاظاً أغزر تنمي عقله وتدعم مدركاته .

أظهرت دراسات (سمث) أن المولود يحصّل في السنة الأولى (٣) كلمات ثم ترتفع إلى (٨٩٠) كلمة في السنة الثالثة ، ثم ترتقي إلى (٢٥٦٠) كلمة في السنة السادسة . وهذه الأرقام تمثل الأطفال في إنكلترا ويمكن الاستئناس بها ، والاحتمال قوي باختلافها عن الأطفال في بلادنا لأسباب تتعلق بالبيئة وطبيعة اللغة والتفاوت الاجتماعي والعقلاني .

أشارت التجارب التي عُقدت لدراسة النمو اللغوي إلى نتائج نلخصها فيما يأتي :

● **تلعب الأوضاع الفيزيولوجية المتعلقة بأعضاء النطق** والسمع دوراً كبيراً وحاسماً في بعض الأحيان . فالطفل الذي يعاني ضعفاً في حاسة السمع يتأخر نموه اللغوي ، وقد يتعرض لتأخُّر كبير بانعدام سمعه[1] . ويتطلب الموقف إذ ذاك أن

(١) حاول المربي (Rutten) أن يعلّم معنى (اليأس) وبطريق المحسوسات =

يعتمد على البصر بدل السمع ومشاهدة حركات أيدي وأصابع المتحدثين معه ومتابعة تعبيراتهم الوجهية .

● **ويتأثر نمو اللغة بارتقاء الأسرة أو انخفاضها** وقد أظهرت الدراسات أن أبناء الأسر الميسورة تؤدي إلى تفوقهم اللغوي .

● **كما يلعب الجنس دوراً واضحاً** إذ ظهر أن البنات تسبق الصبيان الذين يجارونها في العمر في مجال النمو اللغوي ، ويظل هذا السبق إلى ما بعد العاشرة حيث يتمكن الصبيان من اللحاق

= لأطفال من الصّم البكم ، فكلّفه الأمر عدة شهور . زرع الأطفال حبات الفاصولياء في حديقة المدرسة ، وظلّ يُعنى معهم ويبدي فرحه بنمو الشتول وظهور زهورها ثم تحوُّلها إلى ثمار بشكل قرون . وفي ذات ليلة أوعز إلى رجل أن يحطم أثناء الليل تلك النباتات ويجعلها يباباً مدروساً ، ولما وجد الأطفال ما حلّ بالنباتات ، حلّ بهم ألم شديد ، وأظهر المربّي أسفه وكتب للأطفال على السبورة كلمة (Desespoir) مبيّناً لهم أن ما حلّ بهم هو اليأس . وفي حين أننا نحن الأسوياء نتعلّم كلمة (يأس) بمراجعة القاموس إذا كنا لم نسمع بها ونحن صغار ، فإن تجربة (Rutten) لا تؤكد حصول معنى اليأس ، ولربما ظن الأطفال أن (Desespoir) تعني فاصولياء ممزقة !!..

والوصول إلى مستوى البنات ، ثم تتحول الأمور بعد ذلك فيسبق الصبيان البنات وقد يساوونهم .

الذاكرة

ذاكرة الإنسان هي مصدر وعيه لحاضره وماضيه ، ومنطلق تقدمه وارتقائه .

فهي عامل أساسي من عوامل تكوين الشخصية ، ويؤدي تخلخلها إلى انهيار الشخصية أو تحطمها ، لا تقوم الحياة النفسية على مطلق الحاضر ، وإنما هي استمرار الماضي وأداة اتصاله بالحاضر ، والحاضر لا يقوم بذاته كنقطة رياضية مستقلة الأبعاد ، وإذا انفصل الحاضر عن الماضي أصبحت كل حياة نفسية مستحيلة ومقطَّعة ، وأصبح على الإنسان أن يكتسب معارفه من جديد ويبدأها في كل لحظة . ليس الحاضر فينا إلا امتداداً للماضي وإمكاناً لدوامه واستمراره . وكل إنسان يحيا مع الأهل والأصدقاء والأمكنة التي ألفها منذ طفولته ، مع من أحبَّ من أشخاص وصور وذكريات ، أو مع من كره وتنغَّص منهم .

إن ذاكرتنا هي الموكلة بحمل الماضي ، وهي التي تسمح لنا أن نتابع خط حياتنا صوب الحاضر والمستقبل . وهكذا تكون الذاكرة شرطاً رئيسياً وضرورياً لكل وجود عقلي وعاطفي وفعّال . يصدق هذا على الفرد وعلى الأمة . فالأمة التي لا تتصل بماضيها لا تملك حاضراً يقوّم حياتها ، وقد تملك حاضراً مهتزّاً باهتاً ضئيل القسمات لا تنتمي إليه لا يقاوم الاندثار .

قد تسمع ـ وأنت في المهد ـ لحناً شجيّاً يطربك أو صياحاً مع خوف ، أو تصل إلى أذنيك جملة حازمة ، وتظن أن لا أهمية لكل هذا ، وتمضي أيام الطفولة والشباب ، تتخطاها إلى المراهقة فالشيخوخة ، وإذا بك في طرفة عين تستعيد ذلك اللحن الشجي ويفجؤك ذاك الصياح المرعب . وهكذا فإن كل كلمة يسمعها الطفل (بل الجنين في الشهور الأخيرة) ، وكل عبارة فرح أو شكر أو عتاب أو تقريع تحفر في ذاكرته أثراً يظل معه ما دامت أنفاسه تتردد في صدره ، وسيشب الوليد حاملاً معه البسمات والتهاني ، أو عبارات السخط والنفور ، وسيكون في مستقبله سعيداً مرحاً بهيج النفس ، إذا تغلبت (محفوظات)

السعــادة والمرح ، أو بــائســاً ضيــق الشعــور إذا سيطرت (محفوظات) الغضب والتهديد .

إن كثيراً من علمـاء النفس والمربّين يؤكـدون أن السنـوات الخمس[1] الأولى هي أقوى سنـوات العمر تـأثيراً في حيـاة المرء ، وأن التجارب والخبرات العاطفية التي ملأتْ حياتـه واحتشـدت في ذاكرته ووعيه ، تتـألف منهـا نواةٌ تُغرس في البيئـة كما تُغرس البذور في الأرض . (وسبحان الله) .

ولا شيء يضيع[2] من الماضي
ويمكن أن يظهر في لحظة من اللحظات .

---

(١) إذا أضيفت إليها آثار الحياة الجنينية كما عرفنا مؤخراً .

(٢) ويرى المؤمنون من علماء النفس أن ذاكرتنا التي لا تنسى هي التي ستكون شاهداً لنا أو شاهداً علينا يوم الحساب .
قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْـداءُ اللهِ إلى النّـارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتّى إذا ما جاؤها شَهِدَ عَلَيهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصارُهُمْ وجُلُودُهُم بِما كانوا يَعْمَلونَ ۞ وقالوا لِجُلـودِهِمْ لِمَ شَهِـدْتُمْ عَلَينـا قـالـوا أَنْطَقَنـا اللهُ الَّـذي أَنْطَـقَ كُـلَّ شَيْءٍ ﴾ [فُصّلت : ٤١/١٩ـ٢١] .

مراحل الذاكرة

تمرُّ ذاكرة الإنسان بمراحل أربعة هي على التوالي :

١ ـ الاكتساب . ٢ ـ الاستدعاء أو الخطور .
٣ ـ العرفان . ٤ ـ التحديد في الزمان والمكان . ولكل مرحلة من هذه المراحل عوامل فيزيولوجية ونفسية واجتماعية .

١ ـ الاكتساب

يعتمد من النواحي الجسدية على مرونة الجملة العصبية (التي تكون قوية في الطفولة وتفقد مرونتها نسبياً عند المسنين) ، وعلى التغذية المتوازنة ، وتكرار ما يراد اكتسابه ، ويتأثر بالراحة والنشاط والتعب (الذي يضعف الاكتساب والتذكر) .

ويعتمد من النواحي النفسية على الذكاء والفهم (فالأمور المفهومة تكتسب بقوة وبسرعة) والاهتمام وإرادة التذكر .

ويعتمد من النواحي الاجتماعية على منزلة الفرد ومهنته

ومصلحته (فالمحامي يذكر القوانين) (ومدرس الرياضيات يذكر المعادلات وطرق حلّ المشكلات الرياضية وهكذا) .

ولقد كان أجدادنا في أيام أمجادهم يعنون عناية فائقة بتحفيظ أولادهم كتاب الله تعالى ، ويبدؤون به في أي تعليم يقدمونه لهم ، ومن ثم يعلمونهم معاني آياته وما يتعلق بها من بلاغة ونحو وصرف وحكمة تنزيل .

٢ ـ خطور الذكريات

وهو على نوعين عفوي وإرادي . فالعفوي يظهر حين يكون المرء شارداً أو مذهولاً أو مُتعب الجسم والنفس . أما الإرادي فهو الخطور المقصود ، ويظهر حين يكون المرء راغباً باستعادة صور أو أسماء أو أرقام .

٣ ـ العرفان

هو الشعور بأن ما يخطر لنا ليس حاضراً ولا خيالاً وإنما هو ينتمي إلى ذكرياتنا . والعرفان على أنواع ؛ حركي وسلبي ومُدرَك .

أما العرفان الحركي فيظهر حين يرى الطفل الدراجة التي اعتاد ركوبها ويعرف كيف ينبغي أن يحركها ويوقفها ويمتطيها .

وأما العرفان السلبي مثل شعورنا أن ما يخطر ببالنا عن اسمٍ في التاريخ ليس كذا ولا كذا ، ونظل قلقين حتى نصل إلى العرفان الإيجابي .

وأما العرفان المدرَك فهو الشعور بأن الحادثة التي نستعيدها تخصنا وتنتمي إلينا وأنها قطعة من ماضينا وأننا نعيها ذكرى .

٤ ـ تحديد الذكريات

ويتم بوضع الذكرى في الزمان والمكان . وقد يكون التحديد سريعاً أو يحتاج إلى تمحيص وتحليل ، فنسأل أنفسنا متى سافر ولدنا إلى الدراسة ، ولكي نحدد زمان هذه الحادثة نحللها إلى عناصرها ، فنقول مثلاً : سافر بعد أدائه الجندية ، وقد حصل على تأشيرة السفر صيفاً ، وكنا قد حاولنا اقتراض

مبلغ تكاليف سفره مثلاً ، وشاءت إرادة الله تعالى أن تصلنا مكافأة على كتاب لنا كنا قد وضعناه في عام (كذا) . وهكذا يتحدد زمان الذكرى .

ملاحظة : يُقال : إن لدى الأطفال قدرة على التذكر قد تكون أقوى مما هي عند الكبار .

ويقولون : إنّ الطفل في سن التاسعة يصعد إلى قمة الاستطاعة في التذكر . ومن المربين من يحاول استغلال هذه الناحية وحشد ذاكرة الطفل بمحفوظات كثيرة . ولكن الإفراط في هذا المجال يشبه التفريط . ويظل المهم أن يستفيد الطفل مما يحفظه وينمي تفكيره .

النسيان

إذا شعرنا بالعجز عن التذكر أو قلقنا من أجل التذكر دون فائدة فإننا نسمي ذلك نسياناً ، وأول ما نقول في النسيان : إنّه ليس محواً للذكريات (فالذكريات لا تُمحى ، وقد يبهت

لونها أو إيحاؤها مع الأيام ، ولكنها تعود في لحظة من اللحظات بكل جزئياتها أو بما أحاط بها من ظروف) .

ويحدث في النسيان ما يؤسف ويؤلم فكثيراً ما يحدث للطالب (الْمُتْعب) أن ينسى في لحظة الامتحان أمراً ما أو اسماً أو غير ذلك ، ويظل قلقاً دون أن يتذكر ما يود تذكره ، ولكنه في لحظة تسليم أوراق الامتحان يذكر بشكل مفاجئ ومروّع ما قد نسيه أو ظن أنه نسيه .

وتعليل ذلك يسير ، ذلك أن المحفوظات التي اكتسبناها بقلق تظل محاطة بالقلق ، والطالب الذي يهمل الدراسة في أثناء العام الدراسي ويكدّس دراسته ويحشدها فوق بعضها في آخر العام يلقى جزاءه (الذي هو من جنس العمل) فتضطرب ذكرياته ولا تعود إليه إلا غائمة أو متداخلة .

حقيقة النّسيان

هو سلوك ديناميكي (حركي) يرجع إلى ظروف وأسباب .

يرى علماء النفس أن النسيان عملية لا شعورية يلجأ إليها العقل الباطن ليُبعد عن التصور ما تكرهه الذات ، وهكذا نعود إلى القول : إنّ النسيان ليس محواً للذكريات ، وإنما تقوقع الذكرى في ظروف لا تساعد على التذكر (فالخائف والقلق والمكلوم .. كل هؤلاء يذكرون أنهم نسوا كذا وكذا) . هناك نسيان مَرَضي له أسباب انحرافية يفقد فيها المرء بعض ذكرياته في تاريخ معين بسبب حادث مروّع لم يحتمله شعور المرء .

ومن الطريف أن نقول : مهما نسينا فلن ننسى ما نهتم به ونحتاج إليه . فالتاجر لا ينسى رقم الأموال التي أقرضها لفلان . وقد ينسى الضرائب المترتبة عليه ، أما المقترض فقد ينسى - إذا كان مماطلاً كما يقولون - ما يجب عليه أن يقدمه للدائن .

وعلى وجه العموم نحن لا ننسى ما هو راسخ فينا وما نود استعادته ونهتم به . وهكذا يذكر المسنون أيام ماضيهم وحوادثه ، وقد ينسون ما فعلوه بالأمس أو منذ أيام . ثم إن الآيات الكريمة التي استعملها المؤمن طويلاً في صلاته لا تُنسى مادام يرددها .

موجز القول

ليست قيمة الذاكرة في ذاتها ، وإنما في الخدمات التي تقدمها للإنسان ، إنها أداة أو آلة للمعرفة ، وما لم تؤد وظائفها فستكون عبئاً على الإنسان ، فماذا يجدينا أن نحفظ كذا وكذا من الآيات ثم لا تدعّم إيماننا ولا تدنينا من الله خالقنا ، ولا تقربنا من الناس عباد الله . أو لا تجعلنا أفضل من أنفسنا ، إن الذين يحفظون ثم لا ينتفعون بما حفظوه يصبحون كما لو أنهم لم يحفظوا شيئاً ، ويغدو حفظهم حجةً عليهم .

التَّخيُّل

يعرَّف التَّخيُّل بأنه القدرة على استحضار الصور بالـذهن ، وهـو على أنــواع أهمهــا ثــلاثــة : ١ ـ إيهــامي . ٢ ـ تمثيلي . ٣ ـ مبدع .

التخيُّل الإيهـامي : ونشـاهـده عنـد الأطفـال منـذ أن يكتسبوا لغـة الكلام ويـأتلفوا فيا بينهم ، وتقع هـذه الفترة بين السنتين الثالثـة والسـادسـة . فهـذا طفل يلعب دور الشرطي ، وذاك دور سـائق السيـارة (الـذي يسـوق صحنـاً مستـديراً) ، وغيرهما الفارس (الذي يركب العصا بوصفها فرساً) ، وهكذا . والطريف في الموضوع أن العصـا تصبـح فرسـاً بمقـدار مـا يرغب الصغير أن تكون فرسـاً ، وإلا فـإنهـا ترجع إلى أصلهـا كعصـا . سـألت طفلاً يمتطي عصـا مـاذا تفعـل ؟.. قـال : أركب فرسـاً ألا تراها ؟؟.. قلتُ : عال ، ولكن ماذا تصنع بهـا في الليل لئلا تؤذي ؟.. أجاب : أربطها بالسرير ، قلت : وإذا قفزت عليك

لتعضّك ؟؟. قال : لا .. لا يصير هذا ، قلت : لماذا لا يصير ، قال : إنها عصا . ألا تراها عصا ؟!

التّخيُّل التّمثيلي : حين أحضر إلى ذهني نزهةً من النزهات التي قمتُ بها في سابق حياتي ، ولم أحدد أين ومتى قمت بهذه النزهة فإن تخيلي النزهة أو البستان يكون من النوع التمثيلي ، قالوا : التخيل التمثيلي ذاكرة بدون عرفان ولا تحديد .

التّخيُّل المبدع : ومثاله حيوان (السانتور) الذي ابتكره الفن اليوناني القديم ، ويتألف من جسم الحصان ورأس الإنسان وأقدام السبُع وأجنحة الطائر . فإن حاصل جمع هذه الأمور يؤلف صورة تخيلية مبدعة ويطرح هنا سؤال وهو :

هل حقّاً أن الإنسان يبدع (أو يخلق) صوره الإبداعية ؟.. والجواب : لا ؛ فالإنسان يؤلف ولا يخلق ، فيستعير من الحصان جسمه ومن الإنسان رأسه ومن الطائر أجنحته . وهكذا فإن مادة الإبداع تستمد من الواقع والصورة التأليفية هي الخيال المبدع .

أنواع الإبداع

تتنوع الصور المُبدَعة تبعاً للإحساس الذي صدرَتْ عنه فيكون لدينا إبداعات صوتية وأخرى بصرية وثالثة حركية ورابعة لفظية وأخرى صناعية .

الإبداع السمعي : ويقوم على الأصوات الموسيقية المسموعة بطريق الإيقاع .

الإبداع الضوئي : ويقوم على الأشياء المرئية التي تتكون منها الرسوم .

الإبداع الحركي : ويقوم على الحركات الرياضية التي تتكون منها الألعاب كالأهرامات البشرية وما إليها .

الإبداع اللفظي : ويقوم على تأليف الصور الكلامية من شعرٍ ونثرٍ ، ويكون منها أدب القصة والرواية والأشعار .

الإبداع الصناعي : ويظهر في الأشكال الأولى للسيارة التي تشبه عربة الديليجانس دون حصان ، وللحافلة الكهربائية التي عُرفت للقطار .. إلخ ..

الإبداع

عوامل التّخيُّل المبدع

وتقع في مجالات حيوية واجتماعية ونفسية .

العامل الحيوي : ويتعلق بأمور مثل الحساسية العصبية (مراكز واتصالات) ، ونلمسها بوضوح عند العباقرة الذين يتميزون بوضوح الطاقة الفيزيولوجية ، وتبدو عليهم مظاهر التعب أحياناً ، ويسلكون بأشكال فريدة أو شاذة . وكل هذا صحيح شريطة ألا نبالغ بالربط بين العبقرية والشذوذ ، وذلك لأن الشّاذ تسيطر عليه تصوراته فيكون ألعوبة بيدها ، في حين أن العبقري يظل سيد تصوراته والمتصرف بها على الرغم من ثرائها المتعب .

العامل الاجتماعي : على الرغم من أن الإبداع يتم على يدي فرد إلا أن مواطن الإبداع وبيئاته تظل اجتماعية . والمبدع هو

إنسان تلقى ثقافته وطوّر خبراته في ظروف ومدارس ومؤسسات اجتماعية .

وهكذا نرى أن أي اختراع مبدع لا يظهر إلا في ظروف اجتماعية . وكل هذا صحيح شريطة ألا نبالغ بالعامل الاجتماعي ؛ وذلك لأن المبدع هو فرد معين . فالذي اكتشف الجراثيم هو (باستور) ، و (باستور) ليس طبقة اجتماعية ولا هيئة عامة ، وإنما هو فرد مبدع عرف كيف يصبر ويصابر ويلتمس الأمور من زاوية خاصة . لقد كان (باستور) يقف أمام أمور يراها كل من مساعديه ومعاونيه ، ولكن المكتشف هو هذا العالم الفذ[١] .

الحدس المبدع (الإلهام) : يحدثنا ابن سينا عن نفسه فيقول : إنّه إذا استعصت عليه مسألة فإنه يطيل النظر فيها قبل النوم ، ولربما أشرقت الأمور وتوضحت له في الأحلام .

---

(١) حين أرادت إحدى الهيئات الاجتماعية أن تُكرم باستور حضر إلى الحفل ومعه شيئان في جعبته رفعهما ، وهما : صورة أمه ونسخة الكتاب المقدس . وقال : كرّموا هذين اللذين صنعا مني ما ترون تكريمه .

ويقال : إن الموسيقي (ڤاغنر) سمع في منامه النغم الأساسي لمقطوعة (Das Reingold) ، وأن الشاعر (كولردج) الذي أخذته سِنة من النوم فشاهد أو لعله سمع في الحلم أبيات القصيدة المشهورة (قبلاخان) فاستعاد بعد اليقظة أبيات تلك القصيدة وحاول أن يزيدها بيتاً واحداً فما استطاع .

الصدفة والحظ يروون أن نيوتون صدفته حادثة سعيدة بسيطة (وهي سقوط تفاحة) فاكتشف بفضلها قانون الجاذبية ، وقد يكون صحيحاً أن سقوط التفاحة كان بمثابة المحرّض على تفكير نيوتون ، ولكن هذه الحادثة لا تصنع (على أهميتها) فلسفة الجاذبية وقانونها الشهير ، فكم هي التفاحات التي سقطت ورآها الكثيرون فلم تؤد إلى أي اكتشاف ، والأصح أن نقول : إن الصدف لا تعرِض نفسها إلا لمن يستحقها ، أي لمن بذل جهوداً كثيرة صارت في مرحلة التَّخمُّر ثم أدى الحظ السعيد أو الصدفة الماجدة فألهمت العالِم ما ألهمت[1] .

(١) ولنذكر هنا قوله تعالى عن الحظ السعيد إذ يقول : ﴿ ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ =

دور التربية في الإبداع

لدينا ملاحظتان :

١ ـ ليس على المربّي أن يصنع شيئاً في مجال الإبداع ، فالفطرة التي فطر الله الناس عليها هي المنبع الأصيل للإلهام ، وليس علينا أن نعمل شيئاً على إيجادها عند الصغار ، وإنما يقتصر عملنا على تنظيم ما هو فطري .

٢ ـ أن توجيه الخيال المبدع ينصب على تقدير روائع المكتشفات والتماس عظائم الأمور . ومن اليسير على المرء أن يميز بين الفن الأصيل وبين موسيقا الضجيج[1] والموسيقا العظيمة التي تساعد على الراحة النفسية وإيقاظ الروح النبيلة في الإنسان .

وإذا أبدى بعضهم إعجاباً بالأدب الماجن أو الفاجر ، فإننا

= كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وما يُلَقَّاها إلاَّ الَّذينَ صَبَروا وما يُلَقّاها إلاّ ذو حَظٍّ عَظيمٍ ﴾ .

وهنا نلاحظ أن الحظ العظيم يكون مسبوقاً بأمور كثيرة (هي الدفع بالتي هي أحسن ، وتحوُّل العدو إلى ولي حميم ، والصبر والمكابدة) .

(١) التي تسمى بالـ Jazz والتي ينفر منها حتى الأجنة في بطون أمهاتها .

نقول لهؤلاء : إنّ ما يصنع عظمة الأمة وأمجادها يتمثل في البدائع المتقنة في الشعر العظيم والأدب الرفيع .

التّخيل والصحة النفسية

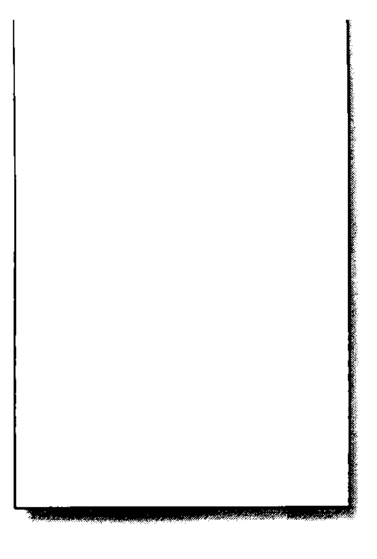
تستهدف الصحة النفسية رعاية الإبداع في الصغار والكبار . ولعل أفضل ما يساعد أمتنا على مواجهة عالمنا المعقد هو الإبداع الإيجابي المثمر .

• فهناك مشكلات قديمة لدى البشر جميعاً لم تجد حلّها وتنتظر المبدعين ، مثل مشكلات الفاقة والعدوان والجهل .

• وهناك مشكلات حديثة أوجدتْها ظروف الحياة العصرية ، وعلينا أن نلاحظ أن المجتمعات المختلفة قد تدانت واقتربت من بعضها حتى لكأن المسافات قد أُلغيت فالتقت الحضارة بالحضارة ، وقامت تحديات حديثة قوامها الثبات في وجه الطغيان وحلُّها الاعتصام بالذات الإلهية المبدعة ، ولدينا الكثير الجدير ، الذي ينبغي علينا أن نستلهم تفوقه ونحسن عرضه ، والذي قوامه النور في مجابهة الظلمات ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا

يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّـورِ ، وَالَّـذينَ كَفَروا أَوْلِيـاؤُهُمُ الطَّـاغـوتُ يُخْرِجُـونَهُمْ مِنَ النُّـورِ إلى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧/٢] .

ومن الطبيعي أن نقول : إنّ التربيـة الجـديرة هي التربيـة الهـادفـة ، والمتوجهـة صوب المعرفـة في مقـاومـة الجهل والمعتـدة بـالتعـاون في مقـابل الصراع والنزاعـات ، والاعتصـام بحبل الله بديلاً عن حبائل الشيطان .



أهم المشكلات العامة
لطفل المدرسة الابتدائية

تخلُّف الأطفال في القراءة

يتفاوت الأطفال في قدرتهم على القراءة السليمة تفاوتاً كبيراً ، فمنهم من يقرأ ببطء شديد مع أخطاء يسيرة ، ومنهم من يقرأ بسرعة شديدة وكأنهم يخطفون الكلمات ويخطئون كثيراً ، ومنهم بين الطرفين ويحتاجون إلى عناية خاصة تُوجه إليهم .. وقد لاحظ المختصون أن التفاوت في القراءة بين أطفال الصف الواحد قد يصل إلى سنة دراسية .

وقد درس علماء التربية أسباب التخلف والتفاوت في القراءة فأرجعوها إلى عوامل عديدة أهمها : العوامل البدنية الجسدية ، والعوامل الخارجية المتعلقة بالمدرسة والدراسة ، وأخرى تتعلق بتأثير الأسرة .

العوامل البدنية

يُشاهد بوفرة في مدارسنا الابتدائية ومدارس البلاد

الأخرى أطفال يملكون بصراً ضعيفاً لم يُكتشف أو يُصلَّح . وقد لوحظ أن هؤلاء الأطفال لا يبصرون جيداً الكلمات على السبورة ولا حتى في الكتب ، وتبين أن ضعف البصر على درجات متعددة ، وكلها تحتاج إلى فحوص دقيقة وتشخيص ومعالجة ، وإلى جانب هؤلاء أطفال آخرون لا يسمعون ولا يملكون سمعاً كافياً يسمح لهم بالمشاركة مع أترابهم ، ومنهم من لا يسمع بإحدى أذنيه إلا القليل ويمنعهم هذا أن يكونوا صالحين للدراسة الاعتيادية بشكل مقبول ؛ فيصنفون بين الفئات الغبية والبليدة ، ولو أمكن للفحوص الطبية أن تصلح هذه المجموعات من الأطفال المذكورين لارتقى مستوى الصفوف ، وتقلص عدد الفاشلين في القراءة (والدروس الأخرى) ، إنك ترى أن هؤلاء المساكين يستجيبون للمعلم وقد يستثيرون حفيظته ويضعفون من همته في محاولاته رفع مستوى الصف دون أيّ نتيجة .

العوامل الخارجية

وهي كثيرة يقع معظمها في انتقال الأطفال من صف إلى

صف أو من مدرسة إلى مدرسة ، وقد يرجع السبب إلى انقطاع الطفل عن الدوام ، أو انتقال أسرته من حي إلى آخر أو من محافظة إلى محافظة خلال العام الدراسي .

وقد يرجع إلى الاختلاف والتفاوت بين تعلم الطفل القراءة في الروضة وتعلمه إياها في المدرسة الابتدائية ، كما يرجع إلى تفاوت أسلوب التعليم بين أستاذين حلّ أحدهما محلّ الآخر .

ويتفاوت المعلمون في قدراتهم التعليمية ، فنجد بعضهم جزعاً لا يملك الصبر لأنه يريد أطفالاً كاملين يتقنون كل دروسهم ، وبعض من هؤلاء نسي طفولته ، وكم كان يبذل من جهود في صغره ، وكم كان يتعثر ، ولهذا نراه بعد أن تجاوز إشكالاته الخاصة مضى ليسعى ـ وهو مخلص ـ كي ينشئ أطفالاً مثاليين على المستوى الذي انتهى إليه .

ويضاف إلى هذا الصنف من المعلمين معلمون ممتازون ومذهلون ، ولكنهم يتفاوتون في أسلوب تعليم القراءة ، فهذا معلم

يتبع طريقة القراءة الصوتية ، وذاك معلم يتبع الطريقة الجملية ، فيقع الصف بأكمله ضحية التفاوت بين الطريقتين .

البيئة المنزلية : وهي على أهمية كبيرة فحين يتاح للطفل أم متعلمة ومتفهمة وتعمل على مراقبة ابنها وتستمع إلى قراءته ، فتصحح من أخطائه ، وتنجح في مراجعة دفاتره ومعرفة مدى تكيفه المدرسي ، فإن الطفل يكون محظوظاً فيبذ أقرانه ويتقدم لا في القراءة وحسب ، بل وحتى في دراسته بأكملها .

العامل الاتصالي : حين تتصل الأسرة بالمدرسة بمختلف الأساليب (في مجالس الآباء والمعلمين) ، أو بمراجعة أم الطفل لمعلمته ، وتسعى لتدارك أوضاع ولدها فإن الأمور تتقدم بسرعة .

وتحضرنا في هذا المضمار واقعتان طريفتان :

الأولى - أن طفلاً ضعيفاً في القراءة والحساب ومعظم الدروس ، سأله أبوه ذات يوم لماذا أنت ضعيف لهذه الدرجة يا بني ؟ فأجاب الطفل : سألت المعلم عن هذا ، وقلت له : ماذا

سأقول لأبي ، فأجابني : قل له : إن سبب هـذا إمـا من الوراثـة أو من البيئة !

الثـانيـة ـ لاحـظ مفتش إحـدى المـدارس أن طفـلاً من الأطفال كان واضح الفصاحة في قراءته مجوداً في معظم الـدروس أو كلها ، وعلى الرغم من هذا شكت معلمة هذا الطفل من تخلُّفـه المفاجئ في معظم دروسه وفي القراءة بوجـهٍ خـاص ، لقـد أخـذ يقرأ وكأنه ضائع عن الكتاب ، ولا يرى شيئاً أمامه .

اتصل المفتّش بـأسرة الطفل فتبين منـه مـا يلي : كان الطفـل ممتازاً في جميع دروسـه وفي سلوكـه حين كانت أمـه تراقبـه كل يوم ، وتبثه عواطفها وتشجيعها ، فينام على قصصهـا الجميلـة ، لكن هـذه الأم ابتعدت عن ولدها بسبب أنهـا اضطرت أن تعمل في إحـدى الوظائف ، وتتأخر في المساء فتصل إلى البيت بعد نعـاس الطفل ونومـه ، لقـد اضطرت الأم أن تعمل لتكسب قوتهـا مع ولـدهـا بعد أن سافر زوجها وترك أسرتـه بغير معين ، وقـد عمـدت الأم إلى شراء بعض القصص قـائلـة لــه : إنــك ستفرح إذا قرأت كل مسـاء قصـة ، وسترى القراءة مسليـة ، وكانت تظن أن صغيرهـا

سيجد في الكتب بديلاً عن لقاء أمه والنوم على صوتها وقصصها ، وهكذا أصيب الصغير بإحباط بليغ مفاجئ أودى به إلى نوع من العصاب ، وجعله كأنه مغشي عليه كل يوم ، فتخلف عن القراءة وتراجع في دروسه .

تخلُّف الأطفال في الحساب

إن التخلُّف في الحساب ظاهرة كثيرة الشيوع في المدارس كلها وفي الابتدائية منها بوجه خاص ، لا تقل عن تخلُّف الصغار في مجال القراءة إن لم ترجحه وتزيد عليه . والأسباب كثيرة أهمها :

١ ـ إن الحساب علم عقلي مجرد يعلو على الكثيرين من الأطفال الذين يألفون المحسوسات ويصعب عليهم إدراك المعقولات .

٢ ـ ويتم تعليم الصغار بطريقة عجلى سريعة فيُطلب من الأطفال أن يفهموا بسرعة ما يفوق قدراتهم .

٣ ـ إن الحساب علم عقلي محض ، ويلمع فيه الأذكياء

(القادرون على التعامل مع المعقولات) فيتفوقون في الحساب ، ويجعلون المعلمين لا يدركون لماذا ينجح البعض ويتلكأ غيرهم .

٤ ـ والحق أن بعض الأطفال يتخلفون في الحساب لا بسبب محدوديتهم في الذكاء وحسب ، بل وبسبب أن الكثير من المعلمين لا يملكون الأساليب التي تجعلهم ينزلون إلى مستوى الأطفال والعمل على الصعود بهم .

٥ ـ وحين يعتاد الطفل على التأخّر في الصفين الأول والثاني (والثالث) أحياناً بالحساب يتراءى له أن هذه المادة الدرسية فوق مستواه ، وأنه عاجز عن مجاراة الآخرين والتفاهم معها .

٦ ـ ويتطلب الحساب من المعلمين (والمعلمات) التأني والتدرج في التعليم .

٧ ـ وعلى المعلمين دوماً أن يلاحظوا أن مادة الحساب مادة متكاملة . بمعنى أن الطفل إن لم يدرك السابق يستحيل عليه أن يفهم أو يدرك اللاحق . ونعني بهذا أن الصغار الذين لم يتفهموا

ولا أدركوا أو تـدربوا على أمور الجمع (جمع الأعـداد) والطرح سيظلون متأخرين أكثر فـأكثر في الضرب والقسمـة (ومن جهـة أخرى فإن المتأخرين في الهندسة المسطحة يصبحون أكثر تـأخراً في الهندسة الفراغية بالمستقبل) وهذا شيء منطقي .

٨ ـ وهكـذا يُغم على الأطفـال المتـأخرين في الحسـاب ، فينقلون تأخرهم إلى مواد أخرى ، فيتوهمون العجز عن السير مع الزملاء .

٩ ـ ويستعين الأبوان ـ من أجل إنجاح ابنهما في الحسـاب ، فيعمدان إلى دعم أولادهم بـدروس مسـائيـة ، ونحن نرى أن هـذه الدروس يحتمل أن تؤكد تواكلية الطفل ، ومع هذا فإن الـدروس المسـائيـة تشبـه آخر العلاج ـ فيقولون آخر الـدواء الكي ـ، وفوق هذا فإن الدروس المسـائيـة إن لم تسع إلى معونـة الطفل كي يفهم الحقائق الحسابية ويتدرب على التعامل معها بنفسه ، فـإن مجرد قيام المعلمين بإعطاء الأطفال دروساً يكررونها على مسمع الطفل فإن فائـدتهـا محـدودة ، وقـد لا يـدرك المعلمون أن التكرار ليس الأداة المفضلة أو المطلوبة .

ونخلص من هذا كله إلى أن اعتماد الأسلوب النفسي في معالجة التخلف في الحساب هو وحده الذي يحلّ الإشكالات .

الأسلوب النفسي :

١ ـ على المعلم أن يبدأ بتعريف الطفل ـ منذ رياض الأطفال ـ على حساب الأشياء والتدرب على تعدادها : (هذه تفاحة واحدة .. وهاتان تفاحتان ، وهذه ثلاث تفاحات) ، وعلى الجميع (معلمين وآباء) أن يعلموا أن الطفل في أول أيام تعلمه لا يدرك معنى الثلاثة أو الأربعة أو التسعة .. إلخ ، ولكنه يدرك ويفهم معنى ثلاث برتقالات ، أربع بطات ، تسعة عصافير ... إلخ ..

٢ ـ ويتم التدريب من معرفة المعدودات استناداً إلى الأصابع فيتعلم الأطفال طويلاً على معرفة الأصابع الخمسة ، وجمع أعداد الأصابع إلى بعضها ، فالأصبعان يصبحان خمساً إذا أضيف إليهما ثلاث أصابع أخرى ، وهكذا ... وبعد تدريب طويل على الجمع بالاعتماد على الأصابع يدرب الأطفال على

الطرح عن طريق (الإنقاص) فأربعة أصابع تصبح ثلاثاً إذا أنقصنا أصبعاً واحدة وهكذا ...

ثم ينتقل المعلم بعد ذلك إلى فكرة المجموعات وتكرارها ، وهكذا فإن جمع مجموعتين متساويتين من الأعداد (٣ تفاحات + ٣ تفاحات) ، سيؤدي إلى الستّ فيُسمى جمع المجموعات ضرباً . وفي مثالنا تكرر جمع الثلاثة مع الثلاثة الأخرى ، يمكن القول : إنّ المجموعتين المتماثلتين يمكن أن يعبر عنهما ـ في مثالنا السابق ـ بـ (ثلاثة × اثنتين) ، وبذلك يفهم الطفل أن الضرب هو جمع المجموعات أو هو اختصار جمع المجموعات .

٣ ـ وقد أوردنا أمثلة عن الجمع والطرح والضرب فنتابع عملنا ، بتدريب طويل وتأكد من استساغة الأطفال التعامل مع الجمع فالطرح والضرب والقسمة بطريق أمثلة محسوسة .

٤ ـ هذا شيء وشيء آخر نرى أن إتقان الحساب لا يقتصر على تعلم جمع الأعداد وطرحها وضربها وقسمتها مما يسمى بالأعمال الأربعة ، بل هناك مسألة أخرى تتطلب المزيد من

الصبر حتى يفهم الأطفال **متى يُستعمل الجمع في المسائل ومتى يستعمل الطرح** ؟ .. إلخ .. وهذه ناحية هامة وهي التي ينبغي أن تدخل إلى مدركات كل طفل ..

٥ ـ وهناك بالطبع تعليم النظام العشري ، وتعليم الطرح البسيط ، وتعليم الطرح بالاستعارة (مثل طرح ٧ من ١٢) .

٦ ـ والمهم في كل هذه التدريبات أن يتثبت المعلم أن أطفاله قد أدركوا ناحيةً ما قبل الانتقال إلى ما هو أرقى منها ، وسيؤدي إتقان السابق إلى فهم وإتقان اللاحق . كما يؤدي إلى تكوين ثقة عند الأطفال أنهم أصدقاء للحساب ، وأن الحساب ليس معضلة مخزية ، بل هو بعض ما يجعل الصغير يتفاخر في فهمه وإتقانه .

العيوب اللفظية وأخطاء الكلام
عند الأطفال

ليس في الوجود أجمل ولا أحلى من مناغاة طفل يحاول الكلام ... أما أسرته فإنها تجد لذةً خاصة لدى سماعها أخطاء لسانه وعيوب ألفاظه فتقلّده وتحمله على التكرار ، وكثيراً ما تستمتع الأسرة كلها بالألفاظ المتآكلة التي لا يحسن نطقها ... ولعل لها العذر في ذلك ، فهي لا تكفّ عن الإعجاب بكل ما يصدر عن الطفل ، ويسحرها كل ما ينم بوجهٍ خاص عن محاولاته بأن ينمو ويكبر .

ولكننا إذا شئنا مصلحة الطفل ، وآثرناها على مسرات الآباء ، فسنضطر أن نطلب من الأبوين ألا يستمرئا هذه اللذة الساحرة ؛ لئلا تخرج عن حدودها المعقولة ، فتعوّق الطفل عن تقدمه الفعلي .

يلحظ المختصون أن كل الأطفال بين السنتين والخمس سنوات يخطئون في ألفاظهم ، فبعضهم يخطئ في تلفظ أصوات معينة أو كلمات خاصة ، وبعضهم الآخر يخطئ بتلفظ سائر الكلمات . فإذا استمر الخطأ والتلفظ السيء عند الصغير بعد السنة الرابعة من عمره ، فإنه يتوجب على أبويه أن يعملا على تصحيح عيب الكلام ، لئلا يغدو هذا العيب كبيراً وتصعب مداراته في المستقبل ؛ (على اعتبار أن أخطاء الصغير صغيرة ولكن أخطاء الكبير كبيرة) .

والأسباب العضوية لعيوب اللفظ قليلة ، ففي حالات محدودة جداً يمكن لعملية جراحية بسيطة أن تصحح كل شيء وتكون أكيدة المفعول . أما القول القديم السائد (الذي يدّعي بأن في لسان البعض من الأطفال عقلة ، أو خيطاً يجب قطعه ويمنع من جودة الكلام) .. فهو قول واهم وخاطئ ولا يثبت أمام البحث التجريبي .

وهناك سبب آخر هام لأخطاء الكلام ألا وهو (ضعف السمع) عند بعض الأطفال أو اضطرابه ، فمثل هذا الضعف إذا

وجد عند الصغير فإنه يمنعه عن التقاط بعض الأصوات ، وكذلك إذا تأكد وجود الضعف في السمع ، فعلى الأبوين أن يسرعا فيعرضا طفلهما على المختص ، مهما كان ذلك الضعف خفيفاً أو بسيطاً ...

ويؤكد المختصون أن في كل أربعة من خمسة أطفال يسيئون التلفظ لا توجد عندهم آفات سمعية أو عضوية ، وهذا يعني أن بوسعهم أن يصححوا ألفاظهم ، ويجودوا نطقهم ، ويسلكوا مسلك الكبار الأسوياء ..

على أن أكثر عيوب اللفظ شيوعاً بين الصغار ، يقوم على استبدال مقاطع لفظية بمقاطع أخرى ، أو استبدال أصوات بأصوات أخرى في الكلمات .

فهناك أطفال يقولون حثان بدلاً من حصان ، أو يقولون : أنا ثبعت بدلاً من شبعت ، أو يقولون : أنا أتلت تليم بدلاً من أكلت كريم ، أو يقولون : تلب بدلاً من كلب .

وعلينا نحن أن ندرب الذين يخطئون من صغارنا على أن

يصححوا ألسنتهم ، وأن يعطوا كل مقطع وكل حرف استحقاقه من اللفظ الخاص به .

إياكم والتأخر ، يرى المختصون في علم النفس أن الزمن المناسب لهذا التصحيح يقع بين (٤ ـ ٧) سنوات ، فإذا تأخر الأبوان بعد ذلك ، وظلت العيوب اللفظية عالقة بلسان الصغير ، فإنه حين يدرك أخطاءه ويعيها عقلُه ، ويحس بضعفه إزاءها ، فمن الجائز أن يقع في صراع مع نفسه ؛ فيتأخر نمو شخصيته .

وأول ما يجب أن نصنعه هو أن نقدم للصغير النموذج الصحيح السليم للكلمات .

- كلّموا طفلكم بكلمات واضحة غير منقوصة .
- كلّموه وكأنه شخص كبير .
- إياكم أن تكرروا أمامه عيوبه اللفظية ، أو تتكلموا على طريقته ، لا بدافع التصحيح ولا بالسخرية أو الاستهزاء .

● حاذروا أن تلحّوا على ابنكم أو تطلبوا منه أن يخرج اللفظ الصحيح دفعةً واحدةً كما يفعل المدرّسون التقليديون ، فمن شأن هذا الإلحاح أن يثبط عزيمة الطفل على التقدم ، وقد يؤدي إلى أن يُفقدكم صبركم ، والصبر سلاحكم الحاسم الذي ينبغي ألا يفقده أي أبٍ أو مربٍّ في معالجة مشكلات الأطفال .

● معروف أن الكلام وسيلة للتفاهم ، فالتفاهم هو الهام أما مقاطعة أي إنسان (في كلامه فهو أمر لا يحتمله الكبار) فكيف يكون شأن المقاطعة مع الصغار .

● ورغم هذا فإن الأبوين اللذين يهملان ولدهما ولا يصححان له ألفاظه وعيوب لسانه ، فإنهما يفقدانه السبيل الذي يحرّضه كي يصحح أخطاءه ، فما العمل آنذاك ؟؟..

الطريقة في العلاج :

● نعود فنذكركم بالصبر فهو أهم ما يُعتمد عليه ويُوصي به المربون في مواجهة مشكلة صعبة كعيوب الكلام .

● عليكم أن تعرفوا متى يجب أن تصغوا وتستمعوا إلى

طفلكم ، ومتى يمكنكم أن تستعيدوا ألفاظه ، أو تطلبوا منه إعادة لفظها ، وإذا اتبعتم الطرائق التي سنشير إليها فسيصبح ممكناً أن تصلوا إلى نتائج ملموسة .

● خصصوا فترات من أوقات النهار تكونون فيها وحدكم مع الصغير وإياكم ومحاولة التقويم أمام الناس حتى إخوته .

● ضعوا قائمة بعيوب لسانه أو الأخطاء التي يخطئها في ألفاظه .

● ادرسوا حركات اللسان والشفتين الضرورية للنطق الصحيح ولا تسرفوا في ذكر مواطن الخطأ عند طفلكم .

● استعينوا بالمرآة ، فإن جلسات صغيرة أمامها تمكّنكم من معرفة أمور كثيرة يجب أن تعرفوها عن النطق السليم .

● افرضوا أن طفلكم لا يستطيع التلفظ بحرف الراء (ر) على وجهه الصحيح فماذا تفعلون ؟؟..

إن في وسعكم أن تبينوا له كيف يجب أن يكون وضع لسانه

وشفتيه أثناء التلفظ بهذا الحرف . قولوا له : انظر كيف نقول (رْ رْ رْ) ، (را را را) ، (ري ري ري) ، (رو رو رو) ، واطلبوا منه أن يكرر معكم كل مقطع على حدة ، وبعد التمكن من إحراز النجاح يمكنكم أن تطلبوا منه أن يتلفظ بكلمات أصعب مثل (أمير) ، (بير) ، (دار) ، وكلها تنتهي بالحرف (ر) ، ثم اطلبوا منه أن يتلفظ بكلمات أخرى مثل (ربيع) ، (رأس) ، (ربّاطة) وكلها تبدأ بالحرف (ر) . ثم طالبوه أن يأتي بكلمات على (الراء في آخرها) و (الراء في أولها) من عنده .

وتجري التمرينات ذاتها من أجل حروف أخرى مثل (ك) بإتيان كلمات مثل (كا كا كا) ، (كو كو كو) ، (كي كي كي) ، ومثل (كتاب ، كلب ، كرنب) ، وأخرى مثل (باك ، جاك ، مسواك) . فتكون الكاف المطلوب تقويمها مع حروف المد أولاً ، وفي أول الكلمات ثم في آخرها .

وهناك أطفال ينطقون حرف (الجيم) (زيم) ، فالواحد منهم يقول (زَريدة) بدلاً من (جريدة) ، و (زنّة) بدلاً

من (جنة) . وبإمكانكم أن تجروا التمرينات السابقة على حرف (الجيم) ، ثم على حرف السين بـــدلاً من الشين ، ثم على الحرف (ثين) بدل (شين) .. واطلبوا منه في كل تـدريب أن يضبـط حركات لسانـه وشفتيـه ، واطلبوا من الصغير أن يـأتي بكلمـات تنتهي بالحروف المطلوبـة ثم تنتهي بهـذه الحروف ، **واجعلوا كل هذه التمارين تتم بطريق المرح والتسليـة ومشـاركـة الطفل كل مرة .**

الاستماع وحده لا يكفي وبـالطـريقـة ذاتهـا واستعمال المرآة يُدرب الأطفال على إتقان حروف المد (آ) ، (ؤ) ، (ئي) . ولا بد في كل هذه التدريبات من تحقيق الأمور التالية :

١ ـ سماع الأصوات والحروف بشكل سليم جيد .

٢ ـ مشاهـدة حركات اللســان والشفتين مبـاشرة وبواسطـة المرآة .

٣ ـ تحقيق التلفظ الصحيح بتلك الأصوات عملياً .

٤ ـ وفي حال النجاح يطلب من الطفل أن يقترح فيأتي بكلمات صحيحة متعلقة بتقويم اللفظ من عنده .

عيوب الانتكاس والتراجع : من حولنا أطفال صلحت ألفاظهم وأمكنَهم بعد التدريب أن ينطقوا جيداً ، ولكنهم لسبب من الأسباب عادوا إلى ما كانوا عليه ، وتعليل ذلك أنهم أُحبطوا أو نالوا أذىً من ذويهم بسبب ولادة أخ أصغر وانصراف الجميع إليه ، أو بسبب مجيء زوار يصطحبون أولادهم ، ويصدف أن يكون لهؤلاء الأولاد أسلوبَ تنافسٍ فظٍّ في التعامل ، مما جعل الأطفال الذين صلحت ألفاظهم يتراجعون في هذا المضمار معبرين عن إحساسهم بالغبن .

ومن أجل حلِّ هذه المشكلة قدموا للطفل مزيداً من الشواهد التي تؤكد استمرار محبتكم له ، وأقنعوه أن منزلته ما تزال في مكانها من قلوبكم ، وأنكم تحفظون له باستمرار كل تقدير وإعزاز ، وأن شيئاً من النقص لم يحصل في مجال محبتكم إياه ، ويمكنكم أن تقولوا له :

« نحن نعلم أن بوسعك أن تتكلم كما يتكلم الكبار ، وذكّروه أن الآخرين سيفهمونه بشكل أطيب وسيحبونه ويحترمونه كلما تكلم بكلام صحيح وألفاظ حسنة سليمة . ويمكنكم أن تذكروا له أن الطفل الذي لم تُصحح ألفاظه يقل احترام الناس له ، وتتهافت منزلته ، على الرغم من أنكم تظلون تحبونه لأنه ولدكم ، ويمكنكم أن تضيفوا : تصور أن سيدة أنيقة وذات موضع اجتماعي طيب تجلس وهي صامتة ، ولكنها منذ أن أخذت تتحدث فقالت « ثباح الخير » وهي تقصد « صباح الخير » ، فتصوَّر الخسارة التي أصابتها في منزلتها حين سُمعت تتحدث بلفظ كان يجب تصحيحه وهي طفلة منذ زمن طويل » ولكنه لم يُصحح .

الفأفأة (التّلعثُّم)

إن الإشكال الـذي واجهنـاه في البحث السـابـق « أخطــاء الكلام عند الأطفال » يتنـاول التلفُـظ السيء ، فهو أمر بسيـط يتعلـق بـالفم وحركات اللســان والشفــاه وقت إخراج بعض الحروف ، ويمكن تصليح كل شيء بالتدريب الفيزيائي .

أمـا الفـأفـأة أو التلعثم الـذي نحن بصــدده فهـو أمر شــاق وتكتنفه صعوبات عند صاحبه ولدى معالجتنا لـه . وهي تتعلق بأمور عصبيـة ونفسيـة ، ومنهـا ثقـة الطفل بنفسـه . إن الطفل الذي يفـأفئ يحـاول أن يقول شيئـاً أو يتفوه بكلمـة فتراه يحمّر وجهه يتردد ويضطرب فيعيـد نطق كلمـةٍ مـا عـدة مرات دون إتمامها ، ويرتد إلى نفسه ويبدي عجزه من حين لآخر ، ويكرر الكلمة الواحدة أو المقطع الأول من الكلمـة مرات ومرات . وقـد يتعثر أكثر فـأكثر فيصمت (وهو يود الكـلام) ويمتنـع عليـه أن يتفوه بأي لفظ مفهوم .

وعلى العموم يُصاب الكثير من الأطفال بالتلعثم في أول مراحل اكتسابهم اللغة ، وإذا فهم الآباء وتبصروا أسباب هذه الظاهرة فإنهم ينجحون غالباً في وقاية أطفالهم شرّ التلعثم .

الحدة العصبية : Tension Nerveuse

إن التّلعثُم الذي يصاب به أحد الأطفال يشير إلى وجود احتداد عصبي يفقده السيطرة على توازن العضلات ، وهذا التوازن العضلي أمر ضروري ولا مناص منه من أجل إجادة الكلام ... وهكذا فمن العبث أن يتدخل الكبار تدخلاً مباشراً كلما شاهدوا الطفل يتلعثم ، بهدف تصحيح كلامه ، ومن قلة الجدوى والخرق العقلي أن نقاطع المتلعثم كي يعيد بشكل صحيح الجملة أو الكلمة التي يتلعثم فيها . والأجدى من ذلك أن يتوجه جهد الكبار نحو معرفة ما يثير عصبية الطفل مع العلم أن الأمر ليس سهلاً كما يُظن ولا يتيسر في كل الأوقات ، لأن الأسباب تتعدد وتختلف من طفل لآخر ، وقد لا يكون لها أي علاقة مباشرة بعملية الكلام نفسها .

لا تظهروا قلقكم ، تصرفوا مع الطفل المتلعثم كما لو كان لا يتلعثم أبداً ، واقبلوا مبدئياً طريقته في الكلام كما لو كانت طريقة طبيعية ، وذلك لتفادي حصول مضاعفات جديدة تزيد من اضطرابه وقلقه ، تذكروا أنه يدرك قلقكم ويتحسس للموضوع ، فإذا أظهرتم القلق والشفقة عليه ، فإنه سيتصرف وهو منكمش على ذاته شديد الترقب لعِلّته والملاحظة لنفسيته . وسيتلعثم أكثر فأكثر ... وتؤكد التجارب أن التعب يُفسد الكلام عند الأسوياء ، فما أحراه أن يفسد كلام المتلعثمين ، **وهكذا تتضح الأمور وتتفاقم حينما يصاب الطفل بالإرهاق** والتعب . ويفيدنا هذا أن طفلاً كهذا هو أحوج من غيره إلى الراحة والاسترخاء ، فهو شديد الحاجة إلى النوم كلما أصابه التعب ، **وليحرص الآباء على قيلولة ابنهم يضمنونها له يومياً دون انقطاع** ، حتى حين ينتهي من سن رياض الأطفال . ونوصي بأن ينتمي أحد هؤلاء إلى مدرسة ذات دوام نصفي .

وإذا اتفق أن وجد طفل يتلعثم وتمنع عن النوم في النهار

ولم يتعود على القيلولة فإنه يجب أن تستعينوا بطبيب من أجل توفير الراحة الضرورية له .

ونشير بعد هذا إلى سوء التغذية واضطراب التبول فهما عاملان مساعدان على إثارة الانفعال عند الأطفال ، فإذا ضمن الآباء لأطفالهم راتباً غذائياً كافياً ، واستعانوا بطريقة تحول دون تبولهم في السرير ليلاً خلال النوم ، فإنهم يستطيعون أن يقودوا صغارهم نحو حالات نفسية أفضل . وبذلك يتخلصون تدريجياً من التلعثم .

وفي حالة مرور الصغير بتجربة عنيفة مثل تعرضه لمرور حصان هائج أو هجوم كلب شرس ، فإنه يترتب على الأبوين إعادة الهدوء إلى نفسه ، والطلب منه أن يتحدث عن قلقه ولو بطريقته المضطربة ، ما الذي جرى ، قل : كيف جرى ؟ فمن شأن هذا التعبير أن يخفف من حدة الخوف أو القلق ، ويجعلها من الأمور المألوفة . وإذا وضعاه في جوٍّ مختلف (بعيداً عن بيته) ومفعم بالتسلية وساعداه على أن يتحدث أمام آخرين

يعرفهم ويعرفونه ، وأن يشترك في رحلات ونزهات بعيداً عن البيت .

لا تكونوا شديدي المطالب وقد يرجع التلعثم إلى وجود الطفل مع فئة ينافسونه فيحرص على أن يتفوق عليهم ، فيكلّفه هذا المزيد من المشقة ، وقد تكون الحالة ناجمة عن الأبوين اللذين يتشددان في المطالب ، فيدفعانه إلى أن يكون الأول في المجموعة أو الأكثر كمالاً أو ترتيباً أو أناقة . وفي هذه الحالة يكون الأبوان مسؤولين عن التلعثم ، وذلك حين يدفعانه إلى معاناة تجربة التجاوز باستمرار ، وخلافاً لذلك يجب ألا يكلفه أبواه ويلزماه أن يسلّم على الأغراب أو أن يتحدث معهم بعبارات المجاملة والتحية ، نظراً إلى أنه لا يدري كيف يتحدث مع الكبار ، كما لا يدري سبب المجاملة وأشكالها ، وأشق من كل هذا أن يعمد الأبوان أو أصحاب الأبوين إلى ملاحظة تلعثم الصغير والسخرية منه ومحاولة إصلاحه بالقسر .

أسباب انفعالية أخرى

يصدف أن يكون الطفل قد ألِف طويلاً أن يعبر عن

اضطراب نفسيته بأساليب شتى مثل قضم الأظافر أو مصّ الأصابع ، أو غير ذلك . فإذا مُنع عن هذه التعبيرات منعاً مفاجئاً ، وألزم الكفّ عنها بحزم ، فإنه يُحتمل أن يقع في التلعثم كتصريف للتوتر الحاصل من جرّاء الإلزام والحزم .

النقاهة : وإذا شفي الصغير من مرضٍ طويل ألَمّ به ودخل في النقاهة ، فإن الأبوين مطالبان بعدم التسرع في النقاهة ، لأن عودته إلى الصحة لا تتم في يومٍ وليلة ، والأصح أن تسير النقاهة سيراً متأنيّاً يحرص فيه الأبوان على تجنب التعب والإرهاق والأفعال العسيرة .

وهناك آباء يبذلون مزيداً من العناية والتدليل للطفل المريض حتى إذا أحسّا بدنوه من الشفاء قطعا عنه كل عناية بشكل فظّ أو متسارع ، فيدفعان الصغير إلى أن يسلك سلوكاً تراجعياً يجعله يؤثر عودة المرض أو الوقوع في التلعثم .

الطفل الأعسر

الفكرة السائدة بين الناس أن الإنسان الأعسر (وهو الذي

يستعمل يده اليسرى بشكل أوفر) يقولون بصدده : إن هذا لا ينبغي أن يكون ، ولا بد من تقويمه ومنعه من استعمال يده اليسرى ، ثم تبين لدى الباحثين أن الكثيرين من الناس عسراويون ، ويهمنا هنا أن منع الطفل عن استعمال اليسرى بعد أن كان حرّكها كثيراً ، هذا المنع قد يشوش الطفل فيزيد من تلعثمه إن كان يتلعثم من قبل . وبالمناسبة فإن الحلّ الوسط في هذا الموضوع مفضل ، وهو أنه يمكن تعويد الطفل على استعمال كلتا يديه ، وكثيراً ما تنجح هذه المحاولة ، من دون أن يحرجوا أولادهم ، أو يمنعوهم ويكثروا من التنبيهات .

شدة الحساسية

كلنا يعرف ضرر الانفعالات على المرء وصحته النفسية والجسدية معاً . وشدة الحساسية تجعل الطفل مستعداً لأن يغضب بسرعة أو يحزن طويلاً !!. وقد تكون الأسباب واهية ويمكن تجنبها بسهولة ، من ذلك منع الطفل عن الجهد المفرط والتعب ، وعدم تعريضه لما يثير حساسيته كالسهر المضني ومشاهدة الأفلام المرعبة والاستماع إلى القصص الرهيبة ، والأم

الحصيفة تحول دون تأثير هذه الأمور على ولدها (الذي تجري عليه التدريبات الآيلة إلى الابتعاد عن التلعثم) .

وشيء آخر يتعلق بالحساسية وله خطورته ألا وهو الجو العائلي ، ولون العلاقات الأسرية ، فالأبوان اللذان يتشاجران ويتبادلان التهم والنقار ... إلخ ، هذان الأبوان يعززان في الطفل المتلعثم تلعثمه ، وقد يؤديان إلى مزيد من الارتباك والاضطراب .

مساعدة الطفل المتعلثم

يستطيع الأبوان أن يقدما مساعدة جليلة وفعالة لولدهم المتلعثم بعيداً عن الطبيب في مجالات الوقاية والعلاج . وعليهما أن يذكرا دوماً العلاقة الوثيقة بين الاستقرار العاطفي والسلوك الكلامي ، فإذا تذكرا ذلك وعملا على إزالة كل ضغط عاطفي عن الصغير ، وخففا كل احتداد انفعالي ، وتحاشيا كل تحريض لقواه وجعلاه يعبر عن نفسه ، ولا مانع من أن يتركاه وحيداً في غرفته ويقرأ بصوت عال النصوص والأشعار الملائمة ، والمهم ألا يُقاطَع المتلعثم عن الكلام في كل الأوقات (فيا عدا أوقات

الصفاء النفسي بينه وبين والده أو والدته) . ومن الناحية العملية يُستحسن أن يلجأ الأبوان إلى تدريب الصغير على استعمال الهمس والكلام المنخفض ونفخ البالونات واستعمال الناي ، وإلى تدريبه على القراءة الجهرية وتشجيعه على التحدث عن نفسه والإلقاء المسرحي .

وبالمناسبة أعرف رجلاً كان يفأفئ في طفولته بشكل ملحوظ ثم دُرِّب على الكلام المسرحي ، فإذا به يجوّد بدرجة ملحوظة دون تلعثم ، وهو الآن يتكلم ببلاغة واضحة كلما ألقى الشعر أو الكلام المسرحي على المسرح .

وآخر ما نقوله : إن شفاء طفل يتلعثم مدة طويلة ليس بالأمر السهل دوماً ، ولا بد أن يتوقع الأبوان بعض الفشل في محاولاتها ، مع أن هناك حالات متطرفة تستعصي على الأسرة ، وتقتضي أن يُعرض الطفل على الطبيب المختص في مراكز الصحة النفسية .

الأطفال المشكلون

تمهيد

على الرغم من كل المظاهر الخارجية للأطفال ، وعلى الرغم من كل الصفات المشتركة بينهم فإن أطفالنا ليسوا سواء ، منهم الذكي ، ومنهم اللامع ، ومنهم الخامل ، ومنهم الديناميكي الذي لا يهدأ ... إلخ ، وهكذا يختلف كل طفل عن أي طفل آخر . على أن مشكلتنا التي نجابهها هنا هي :

الطفل المُشكل

يحدثنا معلمو المدرسة الابتدائية (والإعدادية أحياناً) أنهم يلقون طفلاً أو أكثر يبدي صعوبة في الاندماج مع غيره ممن يماثلونه بالسّن والصف الدراسي ، فيظهر وكأنه بليد لا يكاد يتحرك ، وتبدو عليه مظاهر الملل ويؤثر العزلة في معظم الأوقات .

إنـه يتوقف في حين أن الجميع يتحركون وينشطون ، ولا تفعل فيه أنواع التشجيع إلا أقل النتائج ، وهو ينشط عندما يشتهي هو .

والمهم أن هؤلاء المشكلين ليسوا مرضى ولا شواذ ولا منحرفين ، إن الشواذ والمنحرفين لا يدخلون في بحثنا هنا ، والملحوظ أن المشكلين الذين ندرسهم قادرون على أن يكونوا مثل غيرهم ويملكون الكفايات العقلية اللازمة ، ولكنهم يفتقرون إلى الرغبة بالسير مع الآخرين ، إنهم لا يندمجون وتجدهم على الرغم من ذكائهم شاردين ، ويؤكدون لنا قدرتهم على التوقد . وإن من أسهل الأمور وأخطرها في آن واحد أن نحكم على هذا الطفل بالبلادة أو نصفه بالغباء فنقول : « إنه أحمق » و « لا رجوى منه » و « لن ينفع نفسه أوغيره » ، ولكن كم في هذا الوصف من ظلم وجهل وجرأة على الحقيقة وعلى الله .

يا للجرأة ويا للهول لقد رميناه بالحماقة وانحطاط العقل ووصمنا ذكاءه وحسن إدراكه فما أقسانا ؟؟ أرأيت إنساناً يصب ماءً بارداً على جذوة نار متّقدة ؟؟..

لكن السؤال الوجيه والمحيِّر هنا :

كيف نكتشف هؤلاء ؟..

إن المنهج الموضوعي الرصين يقول لنا : « اكتشفوهم أولاً » ثم « شخِّصوا حالتهم » و « سايروا طبيعتهم المميزة » وهكذا سنعمد إلى اتباع المنهج العلمي التجريبي بالملاحظة ، ثم الفرضية فالتجريب ، ثم التصرف بناء على هذا كله .

أ - الملاحظة

إن أول ما يجب أن يصنعه المعلم مع هذا الطفل المشكل أن يبدأ بملاحظة تصرفاته ويجمّع حوله ملاحظات دقيقة يكشف عنها من ظروف عدة .

- فمتى ينثني عن العمل ومتى يساهم ؟
- ماذا يحب من الأشياء والدراسات وماذا يكره ؟
- مَن أحبّ الناس إليه وما أحب اللحظات ، والمناسبات والدروس ؟

ـ وفي اليوم الذي تلقاه مبتهجاً استفهم عن سرّ ابتهاجه (كيف ومتى ولماذا) ؟..

ـ وفي اليوم الذي تلقاه مبتئساً استفهم عن سرّ ابتئاسه (كيف ومتى ولماذا) ؟..

وعليك ألا تتسرع بل خذ بأسلوب التأني والتريث .. والصبر .

٢ً ـ وعلى المربي أن يستفيد من ملاحظة أناس آخرين كالطبيب والأقرباء والأصدقاء .

ـ فقد يكون مصاباً في قلبه أو بصره أو سمعه .. إلخ .

ـ وعليه أن يطلع على ماضيه وسجلاته المدرسية السابقة والحالية ، وأن يطالع تقارير المشرفين النفسيين والاجتماعيين .

ـ وأن يتحدث مع رفاقه ، والأصحاب والمنافسين .

ـ وأن يقرأ في مذكراته (إن كانت له مذكرات) .

ـ وأن نجتمع به مليّاً بعد أن نكون قد وطّدنا علاقتنا به واستحوذنا على ثقته .

ـ وأن نجتمع بأسرته ونتعرف إلى ماضيه المنزلي ومواقفه من إخوته وترتيبه بين الإخوة .

٣ً ـ الفرضية

قد يتسبب الأمر عن انطواء الطفل أو انفراده أو ذكائه الحادّ ، أو خشيته من غيره ، أو احتقاره ، أو شعوره بالظلم في بيته أو صفه . إن التجريب هو المحك لتأكيد إحدى هذه الفرضيات وطرح ما عداها .

٤ً ـ التجربة

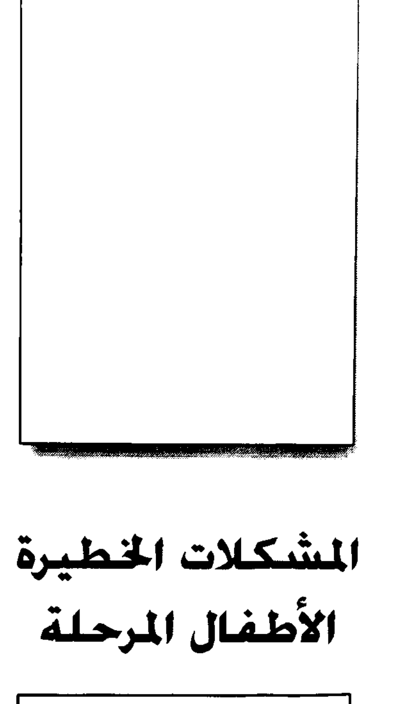
نجرب كي نكتشف موهبةً له ، على أساس أن الموهبة الحادة تباعد بين الموهوب والذين يحيا معهم (بتنافس أو عدوان أو لا مبالاة) . ولنذكر هنا أن كثيراً من العباقرة امتُهنوا ووُصموا بالجنون وقيل : إنهم لا يفيدون أحداً ... وهكذا .

وقد تهدينا ملاحظة بسيطة إلى اكتشاف السّر ، فقد شكا أحد المعلمين من أن طفلاً يرسم ويتابع رسومه في حين أن رفقاءه يتابعون النقاش أو تحليل نصٍّ أدبي أو فكرة علمية .

ولدى مراجعة الرسوم التي كان يصنعها الطفل ومقارنتها ببعضها نستطيع أن نحدد الفكرة التي افترضناها ، وهي تجمع الرسوم حول النوع المولع به . إنه ميكانيكي مثل أبيه ، أو يشتهي أن يكون بحّاراً مثل أخيه الأكبر .

وتؤكد الحوادث ما ظننا أنه السبب أو تنفيه . قال أحد المعلمين : كانت فرقة الكشافة في إحدى الرحلات ، فصدف أن طفلاً وقع في بركة السباحة ، فما وُجد من يُنقذه إلا فتانا المشكل الذي قلع بعض ثيابه وغطس في الماء لينشل الطفل ، لقد كان يهوى السباحة ويشتهي لوأنه يظل سبّاحاً أو يتعاطى إدارة مسبح أو يمتهن مهنة بحار يحيا فوق الماء وهكذا فإنه يحيا في واد وجميع مَن في الصف مع المعلمين في وادٍ آخر .

٥ ـ وبعد التثبت من فرضيةٍ من الفرضيات نتحدث مليّاً مع الطفل (أو الفتى) الذي ظننا أنه مشكِل ، ونتوسع في شرح مواقف الطلبة من ميولهم ، وعدم التعجل والحلم بما يوافق هوايته ، وذلك لئلا يقع في الهاوية أو يكون كالذي ما إن هوى حتى هوى .



المشكلات الخطيرة
الأطفال المرحلة

تحدث مشكلة خطيرة

- حين يظهر العناد فلا يُعالَج فيتحوَّل إلى تمرُّد .
- ويصاحب التَّمرد الكذب أو الاختلاس البسيط .
- وإذا لم يُعالَج الاختلاس بمعرفة وسِعة صدر فإنَّه يتحوَّل إلى سرقة . ومن الكذب والسَّرقة ينشأ العدوان .

إنَّ في وسع الأُسرة المتميِّزة أن تقيم السُّدود وتغلق الأبواب دون العدوان

- فتحتاط لمظاهر العناد وتحيط به .
- وإذا ظهر التَّمرد صعبت الأمور ، واقتضت إدراكاً بالغاً وحصافة تربويَّة .
- وتسعى الجهود التَّربوية هنا إلى تحويل التَّمرد إلى قوة الشخصية .

قالوا : إنَّ النجاح في الحياة يقوم على أن نحوّل الخسارة إلى ربح .

أما الأسرة غير المتميِّزة فإنها بحكم طبيعتها :

- تؤلِّف بيئة متفسِّخة جرثومية ، إنها أسرة مفككة ليس فيها رابط ولا تواصل كفء .
- وفي هذا الجو الممزق يدمر العدوانيون ذاتهم والمجتمع من حولهم .
- يتنكر المجتمع لمن يعتدي عليه ، ولا يدري شيئاً عن تدمير الذات ، وهنا يصبح الإشكال خطيراً ، **وتتحوّل الإصابة إلى مصيبة** .

يقول علم النَّفس :

- لا توجد مشكلات خطيرة مصدرها الأطفال (إلا نادراً) .

- بل توجد مشكلات خطيرة مصدرها الأسرة (أي : الآباء والأمهات) .

- « إن أطفالنا جواهر » (كما قال الإمام الغزالي) ، ونزيد فنقول : « ولكن معظم الكبار حدّادون » .

وهكذا تعرَّضنا في هذا الجزء من حلقة (الصّحة النَّفسيّة لأطفال المدرسة الابتدائيّة) إلى :

- العناد والتَّمرُّد .
- والكذب والسَّرقة .
- والعدوان (الذي يمكن أن يصبح جنوحاً في المراهقة أو إجراماً بالفعل) .

وأضفنا إلى هذا كلّه توجُّهاً سريعاً لقضايا :

- الإعاقة والمعوقين .
- والمتخلِّفين عقليّاً .

● ولم يفتنا أن نواجه العباقرة والموهوبين ؛ لتكون هذه المواجهة مسك الختام ، ويكون منها الأمل . ومن الله التوفيق .

العناد والتَّمرُّد

أنا قلقة لأنني بدأت أواجه عناد ولدي !.. ما الذي يجعل بعض الأطفال يجابهون والدَيْهم على الرغم من تفاهمهم معهم من قبل ؟.. كنا مع أولادنا مثل السَّمن والعسل ، فما الذي جرى حتى ظهرت بادرة العناد ؟؟..

أنا أخشى تفاقم الحالة وتحوُّلها إلى الأسوأ . وأنا أتوجَّس من عَدْوى العناد تنتقل من أخيهم الكبير إلى إخوته . تُرى هل هي بداية المتاعب والإشكالات ؟؟..

هذه أسئلة يطرحها بعض الناس ويودُّون أن يطمئنّوا إلى العلاقة بينهم وبين أطفالهم .

وفي الإجابة عن هذه الأسئلة أبدي ما يلي :

أولاً : قد يعند بعض الأطفال ـ على الرغم من كونهم منسجمين مع والديهم قبلاً ومتفاهمين وإياهم ـ وذلك لأسباب

كثيرة منها :

١ ـ ما يتعلق بالأطفال أنفسهم .
٢ ـ أو ما يتعلق بنا نحن المربِّين .
٣ ـ وما يتعلق بالعلاقات القائمة بيننا وبينهم .

أما ما يتعلق بالأطفال :

أ ـ فإن ظهور العناد قد يرجع إلى نمو الطفل وتفتُّح شخصيته . ويتجلى ذلك واضحاً في السّن الخامسة من عمر الطفل ، أو في سنّ الرابعة عشرة ، ففي سنّ الخامسة يحس الطفل بوجود الآخرين ، ويخشى أن يضيع وسطهم ، ولذا فإنه يسعى ليؤكد شخصيته فيظهر العناد . وفي سنّ الرابعة عشرة يكون الفتى قد تجاوز عالم الطفولة ، وشرع يدخل في عالم الكبار والمراهقين . وفي كلتا الحالتَيْن لا خشية من ظهور العناد ، مع العلم أنَّه عناد مؤقَّت . إذا واجهناه مواجهة ناجعة بترفُّق ، ولم نحاول المواجهة بعنف ، فإنه سوف يتلاشى ويذوب بنفسه .

ب ـ وقد يظهر العناد بتأثير مرور الطفل بإشكالات تتعلق بدراسته أو موقف أترابه وزملائه ، أو بتأثُّره من فشلٍ ألَمَّ به ، أو ظهور من يسعى ليتطاول عليه .

جـ ـ أو مرور الطفل بأزمة صحيّة يحتاج فيها إلى مزيد من الراحة والتّريُّث ، فلا يحصل عليهما فيثور .

أما ما يتعلق بنا :

فإننا نقوم بأعمال من شأنها إثارة العناد عند أطفالنا ، عن جهلٍ أو إصرارٍ أو عدوان ، وأهمها هذه الأعمال التي تصدر عنا ، وترجع إلى ما يأتي :

أ ـ إننا نطلب من أولادنا طلبات متعجلة دون إيضاح ، أو طلبات متعددة في آنٍ واحد .

ب ـ إننا نطلب من أولادنا طلبات عامة وغامضة وتُفهم بطرق شتّى . بسبب ضعف شخصياتنا أو معلوماتنا .

جـ ـ إننا نطلب من أولادنا طلبات مصدرها مجرد الشعور

بأننا كبار وأنهم صغار . « ألسنا نحن الكبار ؟ .. » وما داموا صغاراً فليظلّوا صغاراً .

د ـ إننا نطلب من أولادنا طلبات فيها عودة إلى مواقف ظهر أنها غير ضرورية أو ظالمة .

هـ ـ إننا نطلب من أولادنا طلبات لسنا قانعين بضرورتها ، ونحن نشكٌ فيها . وقد تؤدي إلى إهانتهم فيها .

و ـ إننا نطلب من أولادنا طلبات لا نسمح لهم أن يشرحوا فيها مبرراتهم .

وهكذا نرى أن أسباب قيام الأولاد بالعناد ترجع في معظمها إلينا نحن دون أن ندري ، أو مع الدراية بإصرار وتأكيد ، فندفعهم إلى العناد والتلكؤ في التفاهم معنا ، أو إلى مجابهتنا بصراحة وضراوة .

وأما ما يتعلق بالعلاقة بيننا وبين الطفل :

فقد يظهر منا سلوك يقوم على إهمال طفل ، أو الغضّ من

شأنه وجفائه والانتقاص من حقوقه ، فيكون السبب في عناده وفقدانه المعاملة الطيبة معنا .

يروي آندره آرتوس (وهو أحد الباحثين النفسيين في فرنسا) الواقعة الآتية في كتابه (أطفالنا ذلك العالم المجهول)[1] ، تتلخص الواقعة : « بأن أحد أصدقائه شكا له عناد طفله البالغ من العمر سبع سنوات ، والذي كان مثالاً في التفاهم والطاعة مع الجميع في السابق ، وإذا به على غير ميعاد أو توقّع يُظهر بعض العناد الذي تطوّر فأظهر شكلاً أقرب إلى التّشبُّث في كلامه ، مع تمنع عن الأخذ بآراء أمه أو أبيه .. بجرأة ، اقترح الباحث على صديقه فقال له : إذا طلب ابنك مجدداً أحد الطلبات ، وألَحَّ في الطلب فقل له : بعد ربع ساعة سألبي طلبك . جرَّب الأب هذا الاقتراح ، وإذا بالولد يبكي مقدار ربع ساعة ، ولكن حين أفهم الأب ابنه المذكور في مرةٍ أخرى بأن طلبه لن يُلبى قبل حلول المساء ، إذا بالطفل بدلاً من أن يبكي (كما كان يفعل) أخذ يلملم دموعه ويتوقف عن البكاء منتظراً المساء » .

(١) الفصل السابع ، ص ٧٧ .

ويُستخلص من هذه الواقعة أن المربّين حين يقفون موقفاً فيه المودة والحزم بآنٍ واحد مع أولادهم ، فإنهم يخفّفون من عناد الأولاد وحدّة مواقفهم معَهم ، أو إنهم يمتصّون هذا العناد .

ولنذكر الآن أمراً جديداً ، فالطاعة التي يتطلبها الآباء والأُمهات ليست فعلاً بسيطاً يقدّمه الطفل المربّى ، وإنما الطاعة عمل مشترك بين جانبين ؛ جانب المربّي الذي يعرف ويُحسن الطلب ، وجانب الْمُربّى أو الطفل ، فالأب مطالب دوماً أن يظلّ مع الأُم صاحب الشخصية المحبوبة والْمُهابة . ومهما أظهر أطفالنا تمنّعاً وعناداً ، فإن علينا أن نستعدّ لهذا العناد ونقاومه « بالتي هي أحسن » .

ونقول منذ الآن ـ وفي كل وقت ـ : إن للطاعة عيونها الخاصة وشكلها ، فالصغار يعرفون بالحدس مَن يُطاع ، وهم يطيعون من يحبّونهم ، كما يطيعون السادة ؛ أي الشخصيات التي تعرف كيف تأمر وكيف تنهى بحكمة ولياقة .

ونضيف إلى ما سبق أن الصغير عندما يطلب شيئاً ما ،

ويُفهم بهدوء أنه يصعب تنفيذه ، أو أنه غير معقول ، أو أن الوقت لا يسمح به ، فإنه (أي الطفل) ينثني عن تشبُّثه ، ويغدو أقرب إلى الطاعة ، وأدنى إلى الانصياع . والمهم ألا يشعر الصغير أن أباه مستبد ، وأنه عنيد (فقد يطيعه مؤقتاً ، وفي حضوره أو في مواجهته ، ولكنه يعود إلى التَّمنُّع في غيابه ويلجأ إلى التَّمرُّد) ، والتَّمرُّد نتيجة طبيعية للعناد ، ويُشاهَد حينما يعجز المربّون عن تدبُّر الأُمور وتنسيقها .

من العناد إلى التَّمرد

الأبوان الحكيمان يبذلان أقصى جهودهما لئلا يتحوَّل عناد الصغار إلى تمرُّد

١ ـ إنهما يدركان أن الصَّبر في الصدمات الأولى . فيعملان على حلِّ الإشكالات واحداً بعد آخر منذ أن تظهر الصعوبات .

٢ ـ ويحولان دون تعقيد الأمور وتراكم العناد . ويصفِّيان الحساب بالودِّ عملاً بطريقة : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

٣ ـ ويكافئان المحسن على إحسانه ، ويضعان المكبِّرات على إحسانه .

٤ ـ ويجعلان مطالبهما معقولة ومقدمة بصيغة محببة واثقة من الإجابة . ويظلان يتعاملان « بشعرة معاوية التي لا تنقطع » .

٥ ـ يحاذران الحِدَّة والشِّدّة . كما يحاذران تقديم طلبات متعددة في الوقت الواحد .

٦ ـ يؤلِّف الأبوان جبهة تربوية واحدة من أجل سلام الأسرة ، فإذا اختلفا كتما خلافاتهما ؛ لئلا تظهر أمام الأطفال .

وإذا ظهر التَّمرُّد بالفعل فعلى الوالدين :

١) أن يحاصرا مساوئ العناد كما تُحصر النار . ويطفئا العناد المتمرد كما تُطفأ النار بالماء .

٢) وعليهما أن يتأكَّدا أن السخط والغضب لا يفيدان إلا في شحن الأمور وتفاقمها . إن النار لا تُطفأ بالنار ، وإنما تُطفأ بالماء .

٣) وعليهما أن يبذلا جهوداً لا بطريق استرضاء المتمرّد ، وإنما بسلوك سبل السؤال لاكتشاف أسباب التمرد (من رفاق السوء ، أو تراجُع الصّحة ، أو فشله المعنوي ... إلخ) ومعالجة كل حالة وحدها .

٤) ومهما ساءت الظروف فإن عليهما أن يؤكّدا للطفل المتمرد أنه يظلُّ محبوباً ؛ لأنه يظلُّ ولدهما ، وأن سلوكه هو الذي يحتاج إلى الإصلاح فقط .

٥) ويكررا أن في الإمكان إعادة الأمور إلى مجاريها في كل لحظة .

٦) وبوسعهما أن يجعلا من الطفل المتمرد حَكَماً وحاكماً يحكم على تصرفاته بنفسه .

٧) ونحذّر الوالدَيْن تحذيراً شديداً من ممارسة ما يأتي :

أ ـ مقاطعة الطفل المتمرّد أو الكفّ عن الاتصال به مهما تكن الظروف[1] .

(١) قال صديق : أنا منذ ستة شهور لم أتكلّم مع ولدي . قلتُ لمن تركته ؟=

ب ـ إشهار مساوئ الطفل المتمرد والتّحدُّث عنها في مناسبة أو غير مناسبة .

جـ ـ ترك الحوار ، وقطع كل سبيل للتفاهم ، والتّحلي بالأناة والأمل وروح التّسامح مُحاطاً بالحزم .

د ـ الرضوخ لمطالب الطفل المتمرّد والاستسلام له .

هـ ـ اللجوء إلى التدليل المفسد ، أو الرّشوة . ولا مانع أن يتوسط أحد الأقرباء ، شريطة ضمان النتائج والمحافظة على كرامة كل الأطراف .

٨) وعلى كل أُم وأب أن يظلاّ متأكّدَيْن :

أن النزاعات لا تحلُّ الإشكالات . وأن الانفعال يؤدي إلى الانفعال . ومتى دخل الانفعال الباب توارت الحكمة من النافذة .

= للغي فيتفاقم أم للشيطان فيستلمه منك ؟؟..

٩) ولعل أشد أشكال التَّمرُّد أن يضلَّ الطفل ، ولا يدري أنه ضالّ .

١٠) وأن يخرج المتمرّد خارج البيت ؛ ويتعرّف على حياة التَّشرُّد ولسان حاله « هذا أنا ثم ماذا تريدون ؟؟.. » .

نعوذ بالله من حالة كهذه تدهورت الأمور فيها إلى حيث يظهر الجنوح فالجريمة .

الكذب عند الأطفال

لا تعتبر ظاهرة الكذب ظـاهرة مَرَضِيّـة دومـاً ، ولا يُعتبر الطّب النفسي ملتزمـاً بمعـالجتهـا . وإنمـا هي ظـاهرة نفسيـة تربوية . يحدّثنا الطبيب النفسي د . آرتوس في كتابه (أطفالنا عـالم مجهـول) فيقـول : إنّ أحـداً من الأُمهـات والآبـاء لم يحضر ـ خلال عملي الطـويـل ـ من أجـل معـالجـة الكـذب عنـد ولـد أو بنت ، ويبـدو لي أن الآبـاء يكتفـون بـأنْ يعرفـوا أسبـاب الكـذب ، إذا هم بحثـوا الكـذب عنـد أولادهم ظـانّين أنّ النُّمـو والتّقدم في السّن يُصلح كلَّ شيء ...

أمـا نحن فـإننـا نجـد أن علينـا أن نميّز بين أنـواع الكـذب وأشكالـه ، لأن الكـذب ليس أمراً واحـداً ، وليست لـه دلالـة واحدة .

أهم هذه الأنواع :

١ ـ الكذب الإيهامي القائم على تصور أشياء أو حوادث ، من شأنها تفريغ التّوترات غالباً .

٢ ـ الكذب التّزييني الذي يؤكّد فيه صاحبُهُ خصوبة مخيّلته وامتيازه .

٣ ـ الكذب بالمعنى الصحيح الذي يقوم على اختلاق أمور وحوادث مربكة للآخرين ، أو مؤذية أو مبررة .

٤ ـ الكذب بالمعنى الصحيح الذي يتكون بسبب الاتّهام ، والتّشدد من أجل تأكيده .

الكذب الإيهامي : يرتبط بالحاجة الأُسطوريَّة عند الإنسان ، وهي حاجة تشاهد عند معظم الأطفال إن لم نقُل كلّهم ، ويصعب اعتبارها كذباً بالمعنى الصحيح . فالطفل في تعامله مع هذا الكذب يُبعد عن نفسه الشعور بالإهانة وضآلة القيمة ، بسبب مرضه أو فقره أو انتمائه . ويختلط هذا الكذب بأحلام اليقظة ويستفيد منها أو يغذّيها .

إن طفلة مثل سندريلاّ (Cendrillan) تمثّل نموذجاً

واضحاً للكذب الإيهامي . فهذه الطفلة الفقيرة التي كانت تعيش مع أخواتها (من أبيها) الْمُترفات والْمُفرِطات في الزِّينة ، كانت تحلُم بأحد الأُمراء المجهولين الذي سيكتشفها فيُفضِّلها على غيرها ، وقد تمكَّن أحد الأُمراء البارزين من تحقيق حلم سندريلا فيعثر عليها ، وينشلها من حياتها المزرية .

وهكذا نجد في آداب الأُمم وأقاصيصها الكثيرات من نموذج سندريلا ، فهذه أُكذوبة مستملحة ومرغوبة ولا غبار عليها ، سوى إفراطها في الخيال ، وقدرتها على تجاوز الصعوبات وتفريج ، الهموم . وشبيه بسندريلا الطفل الْمُقعَد النَّحيل (ذو الوجه الأصفر) الذي يشهد الأطفال يركضون ويذهبون إلى المدارس والمسابح ، فيرى نفسه بطلاً من أبطال التِّنس تصفِّق لمهارته الجماهير ، أو تذكر اسمه بين أوائل السَّبّاحين .

وكذلك يكون الطفل اليتيم الذي لا يملك صورة مشرقة تثير الاهتمام إلا بأن يطالع في الشعر أو يُنمِّي استعداداته في التَّفوُّق (العلمي أو الفنِّي ... إلخ) فينال إعجاب الناس الكبار وتقديرهم ، وكثيراً ما يحقِّق لنفسه مكانة مرموقة تنتمي إلى عالم

الأحلام بل الحقائق . ويفرض احترامه على الأقوياء والوجهاء بالفعل . وسبحان من خلق الإنسان وميّزه وأنعم عليه ، بالأحلام .

الكذب التّزييني : وهو يشبه الكذب الإيهامي وينتمي إليه ، لكن صاحبه ليس ـ في العادة ـ مضطهَداً ولا يشعر بالدُّونيّة والحاجة إلى التّعويض ، وإنما يلجأ إليه بعض الأطفال والكبار أحياناً ، لأنه يعزّز مكانته وتميُّزه .

نقل أحد الأصدقاء الحوار الطريف الذي سمعه بين طفلَيْن كان أحدهما أغنى من الآخر . قال الغنيُّ : « إنه كان منذ الصباح في مصيف الزبداني ، وإنه عاد مع أسرته بالطائرة من هناك خلال أربع دقائق » ، ولم يكن الطفل الفقير يستطيع أن يُناقش أُكذوبة كهذه ؛ لأنه لا يعلم إن كان هناك مطار في الزبداني ، كما أنه لا يعلم إن كان هناك رحلات جوية بين دمشق وهذا المصيف ؟ لكنه عمد إلى ابتكار أُكذوبة إيهامية أخرى مماثلة ، فادّعى أنَّ أخاه الأكبر الذي كان في اليابان قد عاد من

هناك ومعه هدية لطيفة ، وهي عبارة عن جناحَيْن يشبِهان أجنحة الطيور ويُساعدان من يستعملها على الطيران فوق المنازل والبساتين والبحر ..

يصدق الطفل الغنيُّ هذه الأُكذوبة ، فيطلب من صديقه أن يعيره هذَيْن الجناحَيْن ، أو على الأقل أن يتيح له رؤيتها . وهنا أفهمه الصديق أن هذه الأجنحة لا تستعمل إلا في الليل ، وهي تتطلب أن يكو الجوُّ ساكناً تماماً والناس نيام ، وأنها تقتضي تدريبات شاقّة وتحتمل سقوط من يستعملها ، علماً أنها لا تسمح لأيٍّ كان أن يستعملها إلا لأصحابها .

وهكذا نجد أن كذب الطفل الغني من النوع المُترف التّزييني . أما كذب صديقه فكان تزيينياً ودفاعياً في آنٍ واحد . ويذهب الباحثون النَّفسيون إلى أن كثيراً من الشعراء والأدباء ومؤلّفي القصص يستخدمون نوعَيِ الكذب الإيهامي والتّزييني ، فيُقال : « إن أعذب الشعر أكذبه » ، كما يقال : « إن أحلى الفنون وأدعاها إلى التقدير ، ما كان يوسّع في خبرات

البشر ، ويمتّع الناس بصور لا نظير لها في الواقع » ، والأمثلة كثيرة لعلَّ أطرفَها بساط الرّيح ، التي ابتكرها أُناس يستعملون سجادة الصلاة .

الكذب الحقيقي : وهو الكذب الحقيقي الذي يمجّه الناس ويستنكره الأخلاقيون والمتديّنون ؛ لأنه ينطوي على معاني **الافتراء (العدواني) والأقاويل المؤذية والادّعاءات التي تبرر الظلم ، وتعين على الإجرام** . ولعل أشهر هذه الأكاذيب ادّعاء اليهود بأنهم شعبُ الله المختار الذين خلقهم (يهوه) ؛ ليكونوا سادة وقوامين على شعوب الأرض ، أولئك الذين سرقوا واختلسوا أموال بني إسرائيل ومن حقّ الإسرائيليين أن يستعيدوها[1] .

---

(١) لقد تحدّى القرآن الكريم أكاذيب اليهود فقال يخاطبهم : ﴿ ياأيُّها الَّذِينَ هَادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ☆ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ ☆ قُلْ إنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إلَى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة : ٦٢/٦ـ٨] .

فهذا النوع من الكذب لا يعبّر فقط عن الإهانة وحدها التي لحقت بهم (بسبب قتلهم الأنبياء) ، بل وعن نقضهم مواثيقهم وعهودهم مع الله والآخرين[١] .

ومن الملحوظ أن الأكاذيب العدوانية تنطوي على نوعَيْن من السلوك الزائف :

١ ـ التَّعالي والتَّعاظم على الضعفاء .
٢ ـ الذِّلَّة والصَّغار أمام الأقوياء .

ويلجأ الأطفال إلى الكذب العدواني بالتدريج ، فيبدأ بسيطاً في السنوات الأولى من المدارس الابتدائية ، ثم ينمو ويتفتَّح بفعل واحد أو أكثر من الظواهر الآتية : **إحساسهم بالطمع ، ونمو حاجتهم إلى الحسد ، وممارستهم السرقة ، والنيل من المنافسين ، والادّعاء بالأهميّة .**

(١) وواضح أنَّ نقض المواثيق والعهود ينتمي إلى الكذب المحرَّم . في حين أن أعظم امتياز جعل المسلمين أعدل شعوب الأرض يتمثل في المحافظة على المواثيق والعهود . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣/٤] .

وهكذا فإن كلاً من (الطمع والحسد والاختلاس وظلم النّاس والادّعاء) هذه المعاني تؤلّف أسرة من المفاهيم المتناسبة والتي ينطوي عليها الكذب العدواني ، علماً أن هذه المفاهيم تحتاج إلى بيئة خاصة أو تربة تغذّيها ، وأهم عناصر هذه التربة وجود أُم فاجرة ، وأب رهيب ، وإخوة جانحين ، فيكونون بمثابة القدوة .

وهكذا فإن الكاذبين يحتاجون إلى أن يمتلكوا فكرة أفضل عن أنفسهم وعن الحياة .

فالواحد منهم ضعيف الإيمان بالله الذي يهدي إلى الحقّ (بنسب متفاوتة بين الشّك والجحود) ، وهم يرون أن البشر كالحيوانات أو أنهم حيوانات ذكية ، وأن الذكاء (والفهلوية) أولى بالاهتمام بالقيم .

١ ـ فالقيم ليست إلا كلمات ابتكرها الأقوياء يلهون بها الضعفاء .

٢ ـ ومعظم الناس حمقى أو بلهاء تفوت عليهم معرفة النوايا ما دامت متسترة خلف مظاهر الخير .

٣ ـ وأن قواعد الأخلاق وقوانينها تتبدل من حين إلى حين ، فهي ليست ثابتة ، بل يكتنفها الشّك وصور الرِّيب .

٤ ـ ومعظمهم يجهل أن الصدق لا يحتاج إلا إلى كلمة الحقّ في حين أن الكذبة تحتاج إلى كذبات كثيرة يغطي بعضها بعضاً .

الكذب الإلزامي : ويُسمى إلزاميّاً ؛ بمعنى أن المرء هنا يدفع إلى الكذب دفعاً . ومثاله الأب الذي يهدّد ولده وهو في أشدّ انفعالاته ويصرخ : « أريد أن أعرف مَن كسر الإبريق ...؟ » ، « اعترف فهذا أفضل » ، أو يقول : « ألف مرة قلت لا أحد يمدّ يده إلى خزانتي . قل لي ماذا حصل » .

وسيُضطر الطفل إلى الكذب زاعماً (أو متذرِّعاً باليمين) أنّه لم يكسر الإبريق .

كما يضطر إلى البُعد عن الحقيقة ، فيزعم أنه لم يمدّ يده إلى خزانة أبيه ، وهكذا ..

ففي مثل هذه الأحوال يضطر الطفل ويُلزم بقولٍ ينجيه من سخط أبيه وانفعالاته الرهيبة . وإذا أصبح الطفل كذّاباً بفضل إنكاره ونجاته من العقاب ، فذلك يكون بسبب الأب ، ويوصي علماء النفس المربّين ألا يلجؤوا ألبتة إلى التهديد ؛ لأن التهديد إما أن يخلق الهلع عند الأطفال ، أو يخلق المكابرة لمشاهدة ماذا سيكون نتيجة التهديد ، فلا يكون شيء هناك ، وفي كلا الحالين يخسر الجميع ، فالأب هو الذي يفشل ؛ لأنه يفقد ثقة ابنه ، والولد الذي يسوء تكوينه بفعل الهلع أو الكذب .

الصحة النفسية والكذب

هناك أمور هامَّة ينبغي أن يدركها الوالدان وجميع من يعنيهم الأمر ، أهمها :

١ ـ يجب أن نعترف أن الكثير من أنواع الكذب يرجع

إلينا نحن الكبار . « يقول الأب حين يُدقُّ البـاب قل لهم : إنني لستُ في البيت » ، يسمعها الطفل وهو يعلم أن أباه يكذب .

وهكذا ينبغي علينا إذا أردنا أن يلتزم أولادنـا الصـدق أن نكون قدوة لهم ، فنظلَّ صادقين .

٢ ـ وعلينـا أن نـؤكـد لأولادنـا (ولأنفسنـا أحيـانـاً) أن طريق الكذب مسدود ، « ولكي يقول الإنسان الصدق فما عليه إلا أن يقول الحق ، وأما لكي يكذب فـإنـه يحتـاج إلى كـذبات وكذبات ليغطِّي بعضها بعضاً » . وقد كان يُقال في هـذا : « إن حبل الكذب قصير » .

٣ ـ علينا أن نذكر دوماً أنَّ الصدق رأس الفضائل : « وإذا كان الكذب ينطلي على بعض النـاس بعض الوقت ، ويمكنـه أن ينطلي على كل النـــاس بعض الـوقت ، ولكن لا يمكن أن ينطلي على جميع الناس كل الوقت » .

كما علينا أن نذكر دوماً أن الصدق يُخلِّف في المرء الصفـاء ، ومن الصفاء تكون الطمأنينة ، والطمأنينة رأس القائمـة في تكوين

(الحياة الطيّبة) . إن الحياة الطيّبة هي الهدف الأكبر الذي يستهدفه الناس في عصرٍ متجهّمٍ ظالم ، لقد كفَّ الناس عن طلب السعادة ، وتبيَّنوا أن السعادة مطلب خيالي وغامض وغير محدد ، في حين أن الحياة الطيّبة واضحة المعالم ، فالحياة تكون طيّبة حين تقوم على صحة العمل والفكر والثقة بوعد الله ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧/١٦] .

السّرقة عند الأطفال

تمهيد

ليست الأمانة شيئاً يورث أو ينتقل بالوراثة ، وإنما هي أمر يُكتَسَب ، والسّرقة من الرّذائل الاجتماعية الهامّة التي تستنكرها المجتمعات منذ القديم . فمنذ آلاف السنين كان الذين يسطون على أموال الناس أو أملاكهم ، يعتبرون مجرمين ومنحطّين ، ويستحقون الاستنكار والتّعذير ، بل العقاب مع ردّ الأشياء المسلوبة إلى أصحابها .

وهكذا يرى علماء الصحة النفسية أنه **من الضروري أن يُدرَّب كل طفل في وقت مبكّر على التّمييز بين ما يخصه وما لا يخصه** ، والأم الأمينة التي تحرص (مع زوجها) على ردّ الأشياء التي تستعيرها إلى أصحابها ، فإنها تكون قد بذرت مع زوجها بذوراً للأمانة في أولادهما بأسلوب عملي ممتاز ، فإذا صاحَبَ ردَّهما الأشياء المستعارة قولٌ وشرحٌ لضرورة إعادة كل

شيء إلى أصحابه ، وتهويل التّهاون في هذا الأمر ؛ فإن الأطفال (الذين يُربون في مثل هذا الجو النّقي) يستنكرون بصورة لا شعوريّة ممارسة السَّرقة أو حتى مجرد التّفكير فيها .

وهكذا يعتمد الأطفال على ذويهم في تكوين مواقفهم الخلقية قدر اعتمادهم عليهم في اكتساب اللغة والدّين والتّفكير . وقبل الدخول في الموضوع نودُّ أن نشير إلى أن اختلاس أشياء الآخرين وأموالهم قد ينطلق عند الطفل من أنه لم يتعلَّم أن يميِّز بين ما يملكه هو وما يملكه الآخرون .

ومن المعروف أن أفراد الأسرة في سائر المجتمعات يتشاركون بمتاع البيت وأشيائه ، فيتسبب هذا الاشتراك بمنع أو تأخير إدراك الملكية الخاصّة ، واحترام ملكية الآخرين . على أن الأسرة الواعية تبدأ ـ في وقت مبكر ـ بتخصيص أشياء كل طفل ، وعدم المساس بأشياء الآخرين ؛ وتسعى أن يتمَّ هذا التخصيص بالرِّضى بعيداً عن التّشنج ومغلّفاً بالمسرَّة والابتهاج .

وهنا تتوجب الإشارة إلى أن اختلاس أشياء الآخرين قد

يتمُّ مصحوباً بلذَّة السّطو ، وهي لذَّة يجب التَّنديد بها . فإذا قال بعض الأطفال : إن الفواكه المسروقة من بساتين الآخرين ألذّ من التي تُشرى ، فعلى الأبوَيْن أن يشرحا ويُبيّنا له أن هذه اللّذة آثمة ، وأن الله تعالى يكرهها ، وأن الناس يحتقرونها ، وخلافاً لذلك فإن لذَّة الاستمتاع أي استمتاع كل طفل بماله الخاصّ وحلاله أكبر بكثير ، وأدوم وأدعى إلى الطُّمأنينة والفرح بما قسمه الله . وأن من يستمتع بماله يسعى لتنمية حلاله ، ويشكر الله تعالى عليه واثقاً أن النِّعم تدوم بالشكر وتتضاعف بالعمل الصالح ، فإذا تدرَّب الطفل على الالتزام بهذه المعاني فإنه يكون قد أسدى إلى نفسه ـ ثم إلى الآخرين ـ معروفاً لا حدَّ له في بناء شخصيته وتنمية كرامته مع الاعتداد بذاته .

مواقف الآباء

إن الآباء المستقيمين حين يدرون أن ولدهم قد خلس شيئاً أو مالاً من رفاقه في المدرسة فاشتهر أمره ، يصابون بصدمة بالغة وأسىً مرير ، ويشعرون بالعار يتلبّسهم ويستولي عليهم : « لقد صدمتنا الحادثة » ، « ويلك يا بني كم سبّبت لنا من

الإهانة » . وهنا يقف الوالدان مواقف مختلفة في مواجهة سرقة ابنهما ، أهم هذه المواقف :

١ ـ موقف الاستنكار والدفاع ونفي التُّهمة عن ولدهما .

٢ ـ أو موقف التَّهويل والذُّهول والخشية من أن ابنهما غدا لصّاً ، يستحقُّ العقاب الصارم .

٣ ـ ويرى المختصون ألا فائدة ترجى من اتِّباع أحد هذَيْن الموقِفَيْن السابقَيْن ، وأن الأفضل هو الأخذ بموقف المستفهم لمعرفة الدافع الذي دفع الصغير إلى اتِّخاذ أعمال وتصرُّفات لا يرضى عنها أحد . والتَّفكير أن مستقبل المرء هو الأمر الهامّ ، وأن المرء إذا أخطأ ثم تاب وأناب ، فإنه يُعدُّ كمن لا ذنب له .

مواقف السّارقين

أ ـ قد تعبِّر السَّرقة عن مشاهدة الطفل شيئاً غريباً يعجبه فيرغب في الحصول عليه ، فمن ذلك ما رواه لنا صديق ، وهو أن ولده (وهو في الخامسة) شاهد في بيت خالته (بوصلة) أُعجب بها ، وطار لبّه من رؤية إبرتها كيف

تتحرك ، ثم تعود بنفسها وتثبت في اتجاهها ، أخذ الطفل البوصلة خلسةً ليُريها لأُستاذه الذي يحبّه ، فيشرح له سرَّها ، ونوى أن يعيدها بعد ذلك إلى صاحبها ، وصدف في اليوم الثاني أن الطفل مضى إلى المدرسة ومعه البوصلة ، وأطلع (في الباحة) رفاقه عليها ، فاستغربوا شأنها وأخذوا يتبادلون رؤيتها وتقليبها ، وإذا بطفل عدواني يخطفها ويعدو بها إلى بركة الماء ويلقيها فيها ، وما أمكن العثور عليها بعد أن أفرغت البركة من الماء . أما الطفل الذي اختلس البوصلة فقد أصابه غمٌّ شديدٌ ظلَّ يُرافقه طيلة حياته .

ب ـ **وقد لا تكون السرقة إلا وسيلة لغاية أخرى** كالانتقام ، أو تسديد الحسابات ، والأشياء التي يسرقها الطفل ليست مقصودة بذاتها ، وإنما هي أدوات تستخدم في إصابة هدف مرغوب .

جـ ـ وقد تكون السَّرقة ذاتها وما يرتبط بها **من موقف انفعالي** غاية في ذاتها . إن السَّرقة في هذا المجال **مشكلة نفسية عميقة** ، وأسبابها تكون في الغالب خافية على الطفل السارق ؛

لأنها تصدر عن اللاشعور . قالت إحدى البنات : « لا يحبّني أحد ، ولست أدري لماذا ، فالبنات يكرهنني ، ويعتدين علي ، لهذا لم أسرق إلا من اللواتي أثرن غضبي » .

د ـ **وقد تدفع الغيرة إلى السرقة** ، وهكذا تسرق البنات من بنات صغيرات تغار منهن ، ولا تسرق من الكبار ، والغريب أنها لم تكن تنتفع بشيءٍ مما تسرقه .

هـ ـ وقد يسرق الطفل شيئاً يعجبه ليقدّمه هدية أو ما يماثلها ، ينال بها الحظوة عند الآخرين وإيهامهم بأنه كريم .

و ـ وقد يسرق الطفل فتكون السرقة متصلة بنوع من أنواع الصراع العقلي الصادر عن الكآبة والعادة السّرّية والشّعور بالهوان .. مما يجعل الطفل يميل إلى التّفريغ النفسي أو إلى إضفاء شيء من الحيوية على حياته .

ز ـ وقد تكون السّرقة وسيلة للشعور بالقوة والأهمية ، وذلك كما نلاحظه في أفراد العصابات وتجمعات رفاق السوء .

ويلاحظ المختصون بالصحة النفسية أن سرقة الأشياء لا تتمّ

عن أشياء تستحقُّ القلق وتضخيم الأمور ، خاصة إذا لم تتكرر ، والمهم أن يتوصل الوالدان إلى معرفة الأسباب الخفيّة التي تكمن خلف السَّرقة ، ويفضل دوماً التبكير في معرفة هذه الأسباب . ومن شأن هذا التبكير أن يهيئ الجو الملائم لحسن تكيُّف الطفل ورده عن الإحساس بالذنب بطريق موفَّقة ومقبولة .

العدوان عند الأطفال

تمهيد

يكاد يكون العدوان ظاهرة حيوية عامَّة عند الإنسان والحيوان ، والإنسان السويُّ مطالب دوماً أن يردَّ دوافع العدوان ويصدها ؛ كي يظلَّ السَّيِّد الضابط لتصرُّفاته .

يتجلى العدوان عند الإنسان بأشكال متعددة ؛ منها العضّ والضَّرب والطعن والهجاء والتَّشهير والسُّخرية والإهمال والمزاح ، وشنّ الحروب الساخنة والباردة وحرب الأعصاب .

وليس من الضروري أن يُوجَّه العدوان دوماً تجاه إنسان بعينه أو مجموعة بشرية محددة ، بل قد يتَّجه العدوان نحو موضوع علمي مستعصٍ أو قصيدة متعبة ينبغي حفظها ... إلخ .

إن العدوان ظاهرة قوية ، وتكمن خلفه طاقة لا يُستهان

بها ، ويمكن توجيه هذه الطاقة نحو الخير والبناء والتعمير ، أو نحو الشَّر والهدم والتَّخريب .

وحكمة الأجيال تعلّمنا أن نتوقَّع الخير والشَّر في كلّ إنسان ، فقد يظهر الشَّر من إنسان أنيس أليف أو شخصية ناعمة ، وهذا يعني أن العدوان لا يملك صورة واحدة قوامها المجابهة الواضحة ؛ بل يتَّخذ صوراً متعددة . وشيء آخر هو أن الكبار لا يستطيعون أن يسوسوا صغارهم ويحسنوا إليهم ما داموا يجهلون عدوانيتهم أو يهملونها .

يكاد علماء النفس يتَّفقون على أن الناس يولدون ولديهم الاستعداد للقيام بأعمال فيها الخير والأنس وفيها الأذى والعدوان ، ولكنهم لا يتفقون على تقديم جواب حاسم للسؤال الآتي :

من أين لنا وكيف نمتلك المشاعر العدوانية ؟؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال نجد مقترحات عديدة أشهرها اثنان :

١) نحن نولد وفي كل منا حاجة أو دافع فطري للعدوان والمجابهة مثلما نولد وفينا حاجة أو دافع للمحبة والإحسان . ويتم استيقاظ هذا الدافع أو ذاك في لحظةٍ من اللحظات بتأثيرٍ ما .

٢) نحن نكتسب من خلال حياتنا اليومية مشاعر الحبّ أو مشاعر البغض . فإذا وجدنا طفلاً يغلّب في سلوكه البغض فمردٌّ ذلك إلى أنه أمضى ـ فيما مضى ـ حياة طفولية تتسم بالكراهية والتعقيد أو الإهمال . والعكس صحيح . فإن رؤيتنا طفلاً يرجّح التّهذيب واحترام الناس ، فذلك بسبب أنه عاش ويعيش في وسط يؤثر المودّة ويرغّب بالأُنس في الأقوال والأفعال .

وعلى أي حال ، وسواء كان العدوان فطري المنشأ أم مكتسباً ، فإنه مما لا شكَّ فيه أن العدوان انفعال حقيقي مثل الانفعالات الأخرى ، ولكنه لا يظهر في كل الأوقات بل كثيراً ما يُغلّف بطبقة أو طبقات من ضوابط التهذيب ومؤثرات التربية أو المجاملة أو النّفاق (في بعض الأحيان) .

العدوان والرّاشدون

وكما وجدنا الأمور عند الأطفال ، فإننا نجد الأمور ذاتها عند الراشدين بصورة أوضح ، فكل إنسان راشد أمامك قد ينطوي على الخير تجاهك وتجاه الناس والحياة أو على الشّر ، على أن من الواجب أن نميّز في العدوان بين أمرَيْن :

١ ـ المشاعر العدوانية .
٢ ـ السلوك العدواني .

فالمشاعر داخلية تجعل المرء يحس بالحاجة إلى الدفاع عن نفسه ومهاجمة غيره ، وهي أمور مبهمة ما نا ري كيف تكونت ، فقد ترجع إلى الحياة في بطن الأم ، أو إلى طريقة الولادة ، أو أسلوب التعامل الأسري والمدرسي وغيرهما ، وتظهر في استعدادات شعورية يتميز شكلها وحجمها لكل فرد ، ويختلف عن أي فردٍ آخرٍ نحو الخير والأنس أو نحو الشّر والعنف ، أو نحوهما معاً بنسب متفاوتة .

أما السلوك العدواني فهو الأمر الفعال الذي تتوجه نحوه جهود المربّين ويتصدّى له المجتمع .

وهكذا فإن الموقف المنطقي المعقول يقوم على ما يأتي :

١ ـ نتقبّل المشاعر العدوانية بوصفها جزءاً لا يتجزّأ من نفسية الطفل ، وكثيراً ما تظل طيّ الكتمان ، ولا ينبغي أن نقضي عليها ، كما لا يمكن .

٢ ـ نكتشف شكل السلوك العدواني ، ومن ثم نُساعد الطفل ونشجّعه كي يتحكم ويصدّ السلوك السيء ، فيعتاد السيطرة على نفسه ، ويستهجن المساوئ والأضرار الناجمة عن سلوكه .

مثال : يدخل طفل على مكتب أبيه أثناء عمله بشكل مفاجئ ودون استئذان ، فهذا سلوك عدواني صغير ، والصغير سيكبر ، لهذا فإن الأب العاقل لا يمرر الأمر دون مواجهة علمية هادئة ، ولهذا فهو يدع عمله ، ويشرح لولده بالحسنى كيف

يجب أن يدخل الصغار على الكبار ـ ولو كانوا آباءهم ـ فيطلبوا منهم الإذن .

مثال آخر : يلعب طفل بأشياء تخصُّ أخته دون مبالاة ، وتثور خلافات بينه وبين أخته ، وهكذا فإن الأم الذّكية لا تدع أمراً كهذا يمرّ دون أن تشرح للصغير أن لكلّ إنسان أشياءه الخاصّة به ، وكما أن الطفل لا يحب أن تلعب أخته بدفاتره ودراجته دون إذنه ، فإن من حقّ أخته ألا ترضى بأن يعبث أحد بلعبها وكتبها ، وهكذا يتوجَّب على كل إنسان أن يستأذن إذا رغب بالتّصرف بأشياء غيره ، « بتسمحي دادا » ، فإذا سمحت كان بها ، وإذا لم تسمح كفَّ الطفل عن التّصرف بشيء ليس له . والمهم أن كلمة « بتسمحي » وكلمة « عفواً » و « ممكن » و « شكراً » ، يجب أن يتقنها كل طفل قبل أن يتمّ الرابعة من عمره .

تطوُّر العدوان

لسنا في حاجة إلى أن نتحدَّث ثانية عن مشاعر الانزعاج

التي يعبر عنها الجنين حين تدخّن أمه أو تتسمّع إلى الموسيقا الصاخبة ، فهذه الأمور وأشياء أخرى تحدثنا عنها فيما مضى[١] .

ولن نتحدَّث أيضاً عن مشاعر الاضطراب والغضب في الطفل المولود ولا الرضيع ولا الطفل في الروضة ، فإن ذلك أصبح معروفاً وواضحاً ، وأوليناه العناية في الحلقات السابقة من سلسلة الصحة النفسية .

العدوان عند أطفال المرحلة الابتدائية

حين يدخل أبناء السادسة المدرسة الابتدائية يأنسون في أنفسهم مشاعر كثيرة ومتعارضة ، إنهم يحسّون الآن أنهم مقيدون أكثر مما كانوا من قبل ، ولكنهم يشعرون أن في المدرسة (رغم قيودها) الكثير من المناسبات الحلوة ، ففيها تتزايد ألعابهم وحركاتهم ، وتنمو مداركهم ، ويكتسبون أغنياتٍ جديدة ، ويتعرَّفون إلى زملاء عديدين ، والمهم أنهم في هذه السِّن يتعرَّفون إلى التنافس والمباريات ، ويمارسون الصداقة والانحياز مع أو ضدّ آخرين ، وينمو لديهم شعور بأنهم محبوبون

(١) راجع كتاب الصحة النفسية للجنين ، للمؤلِّف ، صفحة ٤٨ وما بعدها .

مقبولون ، أو أنهم غير مقبولين ، **وهكذا يحسّ الفرد أنه يبتهج حين ينجح أو يلمع ، ويُقدَّم إليه التقدير . ويكتئب حين يخطئ** ، أو ينحرف أو يقصّر في واجباته ، فيستفيد من التهنئة والتقدير اللذين يُقدّمان له ، ومن الملاحظات أو العقوبات التي يُواجه بها . وهكذا يتفتّح وجدانه ويملك الصوت الداخلي الذي سيعلو فيشجعه على عمل الخير أو الصوت القلِق والمنغّص الذي يؤاخذه ويؤنّبه .

وبكلمة واحدة سوف يتفتّح ضمير الطفل في المدرسة كا تتفتح معلوماته وصداقاته وألعابه .

ومن شأن هذا الضمير أن يدعم أعمال الخير وينشّطها فتؤثر في سلوكه .

وتهيب به إلى المزيد من المواقف الطيّبة والنوايا الحسنة . وهكذا يحمل الطفل الموفق من مدرسته كل يوم خبراً جديداً أو معلومة جديدة أو قصة أو أنشودة جديدتين ، فيتراكم كل هذا في دنياه ويزدان بها شعوره ويغتني .

والمهم في الموضوع أن الطفل هنا ليس وحيداً ، بل هو واحد بين كثيرين ، وهكذا يرى الطفل نفسه محوطاً بأفراد في الصف بعضهم ظريف وتحسن صداقته والتَّقرُّب منه ، وبآخرين لا يملكون ما يملكه الأولون من الظرف والأنس وحسن التعامل .

والمهم أن الطفل حين يكتشف الآخرين ، ويتعامل معهم ، يملك الرؤية الصحيحة لنفسه والآخرين في آنٍ واحد . إن الآخرين هم الذين بفضلهم يتوهَّج الشعور بالذات ، ولولا الآخرون لظلَّ شعور كل فرد مغلقاً على نفسه . لكن الآخرين ليسوا خصوماً للذات ولا أصدقاء بالضرورة ، إنما التعامل معهم هو الذي يُشعر الصغير بالميل إلى من يحسنون إليه ويتقبَّلونه بترحاب ، أو بالميل عنهم ومجافاتهم والحذر منهم .

قانون الأسباب والنتائج

- ومن مجموعة الميول إلى الإحسان أو المجافاة يتكون الضمير (أو الوجدان) .

- كما أنــه من مجموعـة الميـول إلى الجفـاء والمقت يتكـون العدوان .
- وتكون النيـة هي اللوحـة الـداخليـة التي يكتب عليهـا توجه المرء نحو الوجدان أو العدوان .

إيضاح : حين يجد الصغير نفسه معززة مكرَّمة في البيت ، فـإنـه يتقبَّل نفسـه ، وإذا تقبَّل نفسـه غـدا مستعـدّاً كي يتقبَّـل غيره ، وشيئاً بعد شيء وبفضل إحسانه إلى أمه وأبيـه والآخرين يصبح هو ذاتـه مفضَّلاً ومقبولاً لـديهم . وتصبح الحيـاة مقبـولـة ومستساغة .

وفي المقـابل إذا وجـد الطفـل نفسـه مرفـوضـاً ـ لسبب من الأسباب ـ فلم يُكرم ولم يُعزَّز ، فإنه يندفع نحو الكراهية يملأ بها ذاته ، فيشرع برفض الآخرين وعدم تقبُّلهم ، ويتحوَّل كل شيء عنده إلى كراهة نفسه ، أو عدم تقبُّل نفســه ، فيصبح مع الأيـام فظّاً ممجوجاً لا يُطاق ، كما تصبح الحياة بدورها بغيضة مقيتـة في عينيه .

والخلاصة : تلقى بذور الوجدان أو العدوان في نفسية الإنسان أثناء حمل أمه به حين يكون خبيئاً في بطن أمه ، وتتنبَّه هذه البذور بعد الولادة ، ثم تصبح شتلة تسعى للنمو ، ويتضاعف حجم الشتلة ، فتغدو نباتاً بهيجاً بإذن ربّه ، وبحلول السنة الخامسة (أو ما حولها) تتضح الاتجاهات ، حيث يكون الطفل قد اكتسب مفردات اللغة وأدرك معانيها الحسنة والسيِّئة .

وها هي المدرسة الابتدائية تتلقف تلك النباتات ، فتكون كالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربّه ، أو كالذي خبُث فلا يخرج إلاَّ نَكِداً .

هذه هي الصورة المبسَّطة والصافية للوجدان أو العدوان ، تُرسم فيها الخطوط واضحة سوية أو تعتريها عناصر من الاضطراب فتتعقَّد الأمور وتسوء .

التنافس والمباراة : ويدخل الطفل في المدرسة الابتدائية عالم المباراة ، وحين يكون هذا العالم نقيّاً شريفاً ، فإنه يعزّز

الشرف الذي تكوَّن عند الطفل ، وحين يكون هذا العالم ظالماً فاسداً فإنه يمتلئ بالعدوان والتصرفات الشائنة . والمهم أن المربّي الجدير يرعى هذا التنافس ويحافظ عليه ، كي يظلَّ نقيّاً صافياً ، يلهم الطفل بالخير ، ويقوم على أُسس من العدل وعدم التَّحيُّز ، فيتغلَّب الوجدان عنده على كل عدوان .

حين يتعرض الأطفال للحوادث

توفي في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٩٢) نحو مئتي ألف مواطن نتيجة الحوادث المختلفة . ونصف هذا العدد - تقريباً - ينتهون في حوادث تقع داخل البيوت ، والنصف الآخرون في حوادث المرور . ومن المثير حقّاً والمحزن في آن واحد أن يُقضى على الإنسان وهو يسوق سيارته بسرعة تزيد على ١٠٠ كم في الساعة داخل المدينة ، كما يُقضى على الأبرياء المشاة من الأطفال بوجهٍ خاص .

ولم تكتشف - حتى الآن - رقية ناجحة تقينا من الحوادث بطريقة قاطعة . فكلنا معرضون لها ، ويؤكد علماء النفس أن فئة من الناس هم أكثر تعرضاً للحوادث بسبب استعدادات موجودة لديهم .

وليس أدل على ذلك من أن الذين يتعرضون للحوادث في

الطرقـات يتعرضـون أيضـاً ـ إذا سلمـوا ـ للحـوادث داخـل البيوت .

لقـد درست هـذه القضيـة فثبت أنـه يغلب على الرجـل (الـذي يقـود سيـارتـه بسرعـة كبيرة ليـدهس طفـلاً ذاهبـاً إلى المدرسة أو يصيب سيـارة أخرى) هو الشخص الـذي يبحث في الظلام عن صنبور الغاز وفي يده عود ثقاب مشتعل فيتسبب في إحراق منزله ، أو يصعد على السلم لابسـاً (قبقـابـاً) ، وهكـذا فـالـذين يتسببون بـالحوادث للآخرين يتسببون بـالحوادث مـع أنفسهم حتى قيل : إنّ عقل الإنسان يظهر على يديه وأطرافه .

وهنـاك مثـال واضح وهو يـدور حول لورنس ـ الجـاسوس الإنكليزي المشهور في بلاد العرب ـ ومؤلف كتاب أعمـدة الحكمـة السبعة ـ فقد كان هذا الرجل مولعاً بالمجازفة إلى حـدٍّ بعيـد حتى قال عنه من يعرفونه : إنّـه يسعى إلى حتفـه بظلفـه . لكنـه في عام (١٩٣٥) أردى نفسه قتيلاً وهو يقود دراجته البخاريـة في حادث صدام .

فهل تسمي ذلك حادثاً أو انتحاراً ؟؟.. قد يكونان شيئاً واحداً في كثير من الأحيان .

يقول علماء النفس قلما يقع حادث نتيجة التهور إلا وهو مشفوع بتضخم قوة الهلاك تصيب نفس المتسبب في ذلك الحادث . ولسنا نعني بهذا أن الحوادث يمكن منعها منعاً تاماً ، وإنما نعني أن من واجبنا أن نعمل ما في وسعنا للحيلولة دون كثير من الحوادث .

يفيدنا في هذا المجال أن نستمع إلى (منكن) إذ يقول : إن حياة الإنسان في هذا العالم تشبه حياة ذبابة في حجرة كبيرة ، وفي هذه الحجرة مئة غلام وفي يد كل غلام مذبّة يصيد بها الذباب . وهذا من شأنه أن يضاعف مسؤوليتنا للسعي إلى منع الحوادث قبل وقوعها وفي تحذير صغارنا كي يتجنبوا الأخطار (في الطرقات وفي داخل البيوت) .

وقد تبين أن الصغار الذين يحملون الاستعداد للحوادث متأثرون بأسرهم ، فقد ثبت أن ٨٣٪ من هؤلاء الأطفال ينتمون

إلى آباء مصابين باضطرابات نفسية ، أو أن آباءهم وأمهاتهم من النوع القليل التكيف فمنهم السفيه المنحط ، ومنهم الرعديد أو المتجبر ، أو الذي يفضل التعامل بطريق الشجار .

أسباب الحوادث :

١ ـ تبين أن الأطفال الذين يضربون برؤوسهم في حالات الغضب ويسببون لأنفسهم الكدمات أو جروحات السكاكين هم القلقون .

٢ ـ الإهمال : فهناك أسر كثيرة لا يهمها ولا تسعى لرفع زجاجات الأدوية ، ولا تبعد مبيدات الحشرات أو الفئران عن أيدي الصغار .

٣ ـ ثمة أمهات كثيرات لا تقدّر كم يحب الأطفال اللعب بالكبريت ورؤية توهج النار ، ولا استعمال الأدوات الكهربائية ، وكم من طفل صعقه التيار الكهربائي ، وكم من يد أتت عليها المروحة الكهربائية ، وكم من طفل يغامر بالسير في طرف سطح البيت ممسكاً بيديه سلكاً رقيقاً لا يقاوم السقوط

أو يمنعه . وهناك قاعدة ينبغي التقيد بها دوماً هي :

(لا يجوز أبداً أن يُترك الصغار لأنفسهم وحيدين في البيت مهما تكن الأسباب) ، فإن كثيراً من الأمهات تعلم أن وليدها بدأ يزحف ، أو يمشي متعثراً ، ومع ذلك تتركه وحيداً في الغرفة والمدفأة مشتعلة أو إبريق الماء يغلي على مقربة منه .

٤ ـ في بلاد الشرق الأدنى الكثير من الأطفال يولعون باللعب بالكرة في الشارع وكأنهم في الملاعب ، ويظن بعضهم أن من واجب كل السائقين أن لا يدوسوا فوقهم أو يقتربوا منهم « فنحن هنا لنلعب » .

٥ ـ وهناك بعض الوصايا والملاحظات التي يمكن الاستفادة منها في الإقلال من الحوادث للكبار والصغار :

أ ـ احتفظ بخزانة الأدوية وعلقها على مرتفع لا يصل إليه الصغار .

ب ـ احذر أن تتناول شيئاً من الأدوية وأنت في الظلام اعتماداً على ذاكرتك أو لمساتك بالأصابع .

جـ ـ احرص على إضاءة السلالم إضاءة جيدة في الصعود والهبوط بوجهٍ خاص .

د ـ إذا نهضت من نومك ليلاً فيجب أن تضيء الأنوار قبل الحركة .

هـ ـ احذر من ترك الكبريت أو حتى لعب الأطفال مبعثرة على الأرض . واذكر أن كثيراً من ألعاب الصغار سهل حرقها .

و ـ احذر من البحث عن صنبور الغاز وفي يدك نار مشتعلة (كبريتة أو سيكارة) .

ز ـ لا تدع باب السطح مفتوحاً سواء كنت في البيت أم حين تريد الخروج .

ح ـ احذر كل الحذر من التدخين في الفراش ، علماً أن ترك التدخين شيء أفضل .

ط ـ إياك أن تمس أي زر كهربائي وأنت تستحم أو يدك مبتلة في الحمام .

ي ـ درب صغارك على حسن رؤية الطرقات قبل أن يقطعوا الشارع (نظرة إلى الشمال أولاً ثم اليمين ولا حركة إلا بعد انقطاع السيارات) وعلى الأطفال أن يتجنبوا مسك أيدي بعضهم بعضاً .

الطفل العبقري

يتصور عامة الناس أن العبقري إنسان مضطرب ، وأنه مغفّل في كل شيء إلا في حقل اختصاصه المحدود ، وأن من الصعب معاشرته والعيش معه .

الحق أن العباقرة سواء كانوا من الفنانين أو العلماء أو المخترعين ، ليسوا أصعب معايشة مع سواهم من معظم الناس ، وليس معنى هذا عدم وجود بعض العباقرة المشكلين بل إن بعضهم يتصف بذلك .

إن فناناً مثل فان غوخ Van goch الرسام الهولندي المشهور انتهت حياته بالجنون ثم بالانتحار ، وكان قبل جنونه قد أرسل إلى محبوبته بأذنيه قطعهما لها برهاناً على إخلاصه لها !!.. كما كان فيدور ديستويفسكي كاتب القصة الروسي الأشهر مغامراً مدمناً ، وكان هنريك إبسن H. ibsen كاتب القصة النروجي المشهور

طاغية في أسرته ، كما كان فخوراً بنفسه ومختالاً لدرجة أنه كان يلصق بقبعته مرآة يستطيع أن ينظر فيها إلى نفسه إذا جلس بين الناس .

ولكن بمقابل هؤلاء يوجد عشرات العباقرة من أمثال أرسطو وابن سينا وابن خلدون ممن كانوا أسوياء ممتازين في سلوكهم .

دراسة حياة بعض العباقرة :

من خلال دراسة تاريخ حياة (٣٠٠) من البارزين وُجد أن رجلاً مثل السيرفرنسيس غالتون العالم الإنكليزي المشهور تعلم القراءة في السنة الثانية والنصف من عمره ، وقد تمكن من كتابة رسالة قبل أن يبلغ الرابعة ، وفي الخامسة كان بإمكانه أن يقرأ معظم الكتب الإنكليزية وبعض الكتب الفرنسية ، وعرف في هذا العمر معظم أعداد جدول الضرب ، وكان يستطيع أن يدل على الوقت ويضبط العملة الإنكليزية المعقدة آنذاك ، وقد قدر له العلماء حاصل ذكاء لا يقل عن (٢٠٠) .

أما نيوتون فكان قد ترك المدرسة في سن الخامسة عشرة ليهتم بمزرعة أمه وليصبح مزارعاً ، لكن زيارة سعيدة قام بها عمه من خريجي جامعة كمبردج ساعدته على العودة إلى الجامعة ، وتلقي الدراسة التي مهدت له سبل كشف الجاذبية الأرضية . وأما فارادي فكان قد ترك المدرسة في الثالثة عشرة من عمره ، وأصبح بعد عام أجيراً عند مجلد كتب ، فقرأ بحثاً عن الكهرباء ، أثار خياله ، فاستعان بأحد أصدقائه ليصبح أحد رواد ومشاهير علم الكهرباء .

تحليل يشاهد العامة العباقرة فيرون أن سلوكهم الظاهري يختلف عن السلوك السائد لدى العاديين من الناس ، مثلهم في ذلك كمثل المصابين بالجنون ، فيذهبون إلى أن العبقرية كالجنون ، وفاتهم أن هناك فوارق بينهما كبيرة وهامة ، وهي أن المصاب بالجنون تتصرف فيه وتسود عليه تصوراته وخيالاته ، خلافاً للعبقري الذي يظل سيد تصوراته ويتصرف هو بخيالاته .

هذا وقد لوحظ أن العباقرة أسلم جسماً وأوفر اتزاناً عقلياً من عامة الناس ؛ ميولهم خصبة ، وإرادتهم قوية ، ومثابرتهم ممتازة ، ورغبتهم في التفوق شديدة ويتمتعون بثقة كبيرة في أنفسهم ، وكل هذا يؤكد أن العبقري بالتعريف النفسي : إنسان يبتكر شيئاً جديداً ، ويتمتع بمستوًى عالٍ من الذكاء والقدرات العقلية ، وتبلغ نسبة ذكائه ١٤٠ فما فوق ، أما تحصيلهم المدرسي فإنه يفوق المستوى العادي للتحصيل بما يساوي ٤٤٪ ، كما دلت الدارسة أنهم متفوقون في ميزاتهم الصحية والمزاجية والاجتماعية ، حينما يصلون إلى اكتمال نضوجهم وتؤكد ذلك شهاداتهم الجامعية وأعمالهم في الحياة .

ونخلص مما تقدم ؛ إلى أن الرعاية التربوية لهذه الفئة تقتضي تأمين الإمكانيات الملائمة التي تساعدهم على تحصيل المنهج المدرسي العادي في أقل زمن ممكن ، وإننا نميل إلى إتاحة المزيد من فرص المطالعات والأعمال التجريبية في المخابر تعد أفضل من نقلهم إلى صفوف أعلى .

الموهوبون[١] :

قام تيرمان Terman العالم النفسي الأمريكي في عام ١٩٢٠ مع معاونيه بدراسة ذكاء ما يزيد على ربع مليون طفل أمريكي ، وأخرجوا منهم من كان حاصل ذكائهم (١٤٠) وانتقى الباحثون (١٥٠٠) من هؤلاء من كان متوسط ذكائهم (١٥٠) ، وكان بينهم (٨٠) فرداً يبلغ متوسط ذكائهم (١٧٠) ، ولوحظ أن هؤلاء جميعاً كانوا ـ على وجه العموم ـ يتفوقون صحياً على الأطفال العاديين ، وأنهم أقدر على التكيف كما ثبت من اختبارات الشخصية ، وكان عملهم المدرسي متميزاً ومتفوقاً في كل المواضيع .

وقد أعيدت دراستهم مجدداً في عام (١٩٢٧ وفي ١٩٣٣ ثم في ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢) وكانت آخر دراسة لهم بعد مضي (٣٠) سنة على الدراسة الأولى ، حيث قاربت أعمارهم (٤٥) عاماً وكانت كل دراسة من هذه الدراسات المتتابعة تتناول النواحي الآتية :

(١) راجع كتاب (سيكولوجية المرأة ومسؤولية الحمل) للمؤلف ص٥٥٩ .

انحراف الصحة والتعرض للأمراض ، عدد الجرائم والاضطرابات العقلية وإدمان الخمر والطلاق ، فلوحظ أنهم كانوا في جميع هذه الانحرافات دون المجموع العام للسكان من العمر نفسه ، كما لوحظ أنهم كانوا متفوقين صحياً وأخلاقياً على سائر الناس من العمر نفسه ، أما مستوى ذكائهم الذي قيس باختبارات الذكاء المخصصة للراشدين ، فقد ظل فوق المتوسط ، وقد مال متوسط ذكائهم إلى الارتفاع مع التقدم في العمر .

وقد لوحظ أن الإنجاز المهني والتربوي لهذا الفريق كان متميزاً ، فقد دخل أفراده الجامعة في السابعة عشرة ، وكانت نسبة الجامعيين بينهم (٩٠٪) وتخرج منهم (٧٠٪) وهي نسب تفوق مثيلتها عند العاديين ، وقد تابع ثلثا الرجال منهم دراساتهم العليا كما تابع (٥٠٪) من النساء هذه الدراسات .

ومن بين (٨٠٠) رجلٍ بلغت أعمارهم أربعين عاماً في سنة (١٩٥٠) فكان (٧٨) قد حصلوا على درجة الدكتوراه ، و (٤٨) على الدكتوراه في الطب ، و (٨٥) على درجات عالية في الحقوق ، و (٧٤) أصبحوا معلمين في الجامعات ،

و (٥١) قاموا ببحوث في مجال العلوم الهندسية ، و (١٠٤) كانوا مهندسين ، وقد بلغ هذا السجل الحافل ما يفوق (٢٠) مرة على الأقل سجل (٨٠٠) فرد من السكان العاديين اختيروا عشوائياً .

ولكن هناك سؤالٌ وهو (لماذا ينجح بعض الموهوبين في حياتهم ويخفق غيرهم ؟؟) .

وللإجابة عن هذا السؤال أمكن تقسيم هؤلاء الأفراد إلى ثلاث فئات :

آ ـ ويشمل (٢٥٪) منهم تميز بالتقدم الملحوظ .
ب ـ ويشمل (٥٠٪) منهم كان تقدمهم متوسطاً .
جـ ـ ويشمل (٢٥٪) منهم لوحظ أنهم غير متقدمين .

وليس هذا التصنيف قد أقيم على أساس حاصل الذكاء بل على أساس النجاح والإخفاق فقط ، وذلك على اعتبار أنهم موهوبون جميعاً ، وعلى هذا فالعوامل غير ذكائية ولعلها تكون أسرية ، ويلخص تيرمان الفروق بين الفرقاء (أ) و (ب) و

(جـ) بما يأتي :

« أن عدد والدي أطفال الفريق (أ) الذين درسوا في الجامعة يبلغ ضعف عدد والدي الفريق (جـ) ، كما أن آباء أطفال الفريق (أ) كان معظمهم من أرباب المهن العليا ولم يكن الحال كذلك بالنسبة إلى أطفال (جـ) ، ومعنى هذا أن التقاليد التربوية كانت في عائلات الفريق (أ) أقوى منها في عائلات (جـ) ، ويتمشى مع هذه الحقيقة أن العنصر اليهودي في الفريق (أ) يزيد ثلاث مرات عنه في الفريق (جـ) ، ذلك بأن الطفل اليهودي يضغط على والده ضغطاً شديداً لكي ينجح ، ولهذا فهو ينجز أكثر مما ينجزه أبناء العروق الأخرى .

كما أن أعضاء الفريق (أ) كانوا أفضل تكيفاً من أعضاء الفريق (جـ) وانعكس هذا على سجل الأحوال المدنية (في الزواج والطلاق) ، كما أن عدد المتزوجين بين أعضاء (أ) يفوق مثليه بين أعضاء (جـ) ولقد تزوجوا نساء أذكى ، ولهذا فإن أعضاء (أ) يستطيعون أن يستغلوا مواهبهم العقلية إلى أقصى الحدود .

الخلاصة : أن على المعلمين أن يرعوا الموهوبين بأن يولوهم عناية خاصة ، مما يدفعهم إلى بذل الجهد للوصول إلى مستويات أعلى ، وأن يدققوا ويجودوا في تنظيم العمليات التربوية تنظيماً يتيح رعاية الموهوبين ، فيجعلون تعليمهم وتربيتهم أقرب ما يكون إلى الفعاليات الفردية .

THE FAMILY AND THE SOCIETY
PSYCHOLOGICAL HYGIENIC

٤

Psychological Hygienic OF ELEMENTARY SCHOOL CHILDREN

Al-Ṣiḥḥah al-Nafsīyah Li-Aṭfāl al-Madrasah al-Ibtidā'īyah

by: 'Adnān al-Subay'ī

أطفالنا أثمن وأغلى مانملكه من ثروات.

وخير مانعتدُّ به من أجل البناء والأمل.

وهم عدة الأمة للأيام السوداء، ومنشئو حضارتها في أيام الرخاء.

ومن جموعهم سيكون لها علماء وعمال، مخططون ومنفذون.

كل طفل عالم مستقل بذاته.

إنه كتاب قيم يجب أن يُقرأ ويُفهم.

كلما رأيت طفلاً أذكر الذرة الصغيرة اللامتناهية في الصغر..

تلك التي أطلقها الإنسان، وفجر طاقاتها الخفية، الطاقات التي أبدعتها يد الله، بتقدير رائع ودقة لانظير لها.

فلا بد من أن نحسن فهم الطفولة، ونحيطها بالعناية والرعاية.

وهدفنا الأقصى: توجيه الأسرة وتوجيه المدارس.. كي تسير الحياة نحو طفولة سعيدة.

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

ISBN 1-57547-389-5

